كشف المعاني في تفسير الاستعاذة والبسملة والسبع المثاني

تأليف : فهد بن صالح بن شايع النفيسة

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

[السنة]

[اكتب عنوان الشركة]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأصلي و أسلم على نبينا محمد وعلى آ له وصحبه أجمعين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد فإني بعون الله تعالى قد عزمت على تفسير سورة (الفاتحة) مستعينا بالله سبحانه وتعالى ومستمدا منه العون وقد أسميته (كشف المعاني في تفسير الاستعاذة والبسملة و السبع المثاني).ولعل تفسير هذه السورة الكريمة يكون بداية الطريق لتفسير المزيد من سور القران الكريم حتى أنال مزيدا من الشرف. ولطالما وجدت ميولا في نفسي منذ سنين طويلة إلى تفسير شيء من القران لعله يكون صدقة جارية بعد وفاتي كما روى أبو هريرة - رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث :إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) رواه مسلم(1).وهذا أول كتاب اقوم بتاليفه ومابعده تبع له في كونه محل الرجاء ان يكون صدقة جارية مانتفع الناس بهذه الكتب .و التفسير من جملة العلم النافع بل أشرفه وأجله لتعلقه بكتاب الله تعالى فشرف العلم بشرف المعلوم . ومازال المسلمون سلفا وخلفا يؤلفون في تفسير الفاتحة ويستخرجون ما يستطيعون من كنوزها ولن يستطيع احد أن يستخرج كل ما فيها من العبر والدروس والفوائد فهي بحر لا ساحل له كما هو شان باقي سور القران الكريم فهو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي أسراره وفوائده من أ خذ به هدي ومن تركه ضل و من تحداه خذله الله .وسبب اختياري لهذا الموضوع يتلخص في النقاط التالية :

1- أن اغلب المسلمين لا يعرفون معنى البسملة والاستعاذة وما فيهما من أسرار.

2- أهمية سورة الفاتحة في حياة كل مسلم فهي ركن في الصلوات الخمس فلا تجوز صلاة إلا بقرائنها .

3- كثرة تكرارها في حياة المسلمين في الفروض , فضلا عن النوافل , وهذا يدل على فضلها وعظمتها .

4- أن اغلب المسلمين لا يفقهون شيئا من الفاتحة فهم يكررونها كل يوم دون فهم شيء من معناها

5- أن المسلمين يحتاجون من يعلمهم أمور دينهم .

6- أن التأليف في التفسير من أجل الإعمال لتعلقه بكتاب الله تعالى فشرف العلم بشرف المعلوم كما تقدم .

7- أن تفسير الفاتحة قد يكون مدخلا إلى تفسير القران .

.....

(1) الحديث برقم (1631)

8- رغبة الباحث – غفر الله له – في تعلم تفسير هذه السورة العظيمة فتعليمها للمسلمين .

ويحسن بالمسلم الذي يقرا شيئا من القران أن يعرف معناه خاصة فيما يكرره كثيرا كالفاتحة حتى يتدبره فتحصل الغاية التي من اجلها انزل القران فكما أننا نتعبد الله تعالى بتلاوة القران فإننا نتعبده كذلك بتدبر آيات القران . قال تعالى :{ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } [سورة ص :29]. فذكر تعالى ان من جملة اسباب نزول القران التدبر فمن قرا القران بلا تدبر فقد فوت على نفسه حكمة من الحكم التي من اجلها انزل القران والتي ينتج عنها فوائد عظيمة كفهم مراد الله , والعمل بمراده تعالى , والاتعاظ بالآيات, وخوف الله تعالى , وفعل الخير , والبعد عن الآثام والشرور , وغير ما ذكر من الفوائد والحكم . و قال تعالى : { أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا } [النساء :82] وقال تعالى : { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [سورة محمد :24] . وقد ذم الله تعالى من يقرا القران بدون تدبر في قوله تعالى :{ وَمِنْهُم أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ وَمِنْهُمْ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ } [البقرة :78] . قال الشوكاني رحمه الله في تفسيره : (لا علم لهم إلا مجرد التلاوة دون فهم وتدبر) (1) والتدبر لا يتأتى إلا بمعرفة المعنى والآيات كثيرة التي تحث على التدبر. **قال علي رضي الله عنه (لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها) (2) وقال ابن عباس رضي الله عنه :(لأن اقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما و أتدبرهما خير لي من ا ن اقرأ القران هذرمة) (3) .**

عرف ابن سعدي رحمه الله التدبر بأنه : (التأ مل في معانيه وتحديق الفكر فيه وفي مبادئه وعواقبه ولوازم ذلك) (4) وهذا فيما يدركه العقل أما الأمور الغيبية التي لا يدركها العقل فالواجب فيها التسليم . وهناك تعاريف أخرى وهي في النهاية قريبة من بعضها البعض فالاختلاف في تعريفه لايعدوا كونه اختلافا لفظيا

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : (من تدبر القران طالبا الهدى منه , تبين له طريق الحق) (5)

.....

(1) فتح القدير (1 / 104) (2) احياء علوم الدين (ص 352) (3) احياء علوم الدين (ص 346)

(4) تيسير الكريم الرحمن (ص 180) (5) انظر صفحات ناصحة ونماذج ساطعة لسلفنا مع القران الكريم (35)

وقال ابن القيم رحمه الله :(فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما ومآل أهلهما، وتضع في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه وتشيد بنيانه وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم وتريه أيام الله فيهم وتبصره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله، وتعرفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها، وتعرفه النفس وصفاتها ومفسدات الأعمال مصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه وافتراقهم فيما يفترقون فيه، وبالجملة تعرفه الرب المدعو إليه وطريق الوصول إليه وما له من الكرامة إذا قدم عليه.وتعرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه) (1) . وقال رحمه الله : (إذا أردت الانتفاع بالقران فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه والق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه وتعالى منه إليه فانه خطاب منه لك على لسان رسول الله . قال تعالى {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [ق :37] (2) . وقال الحسن البصري رحمه الله : (إن من كان قبلكم رؤوا القران رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار) (3) .

قال ابن قدامه رحمه الله : (وليعلم أن ما يقرؤوه ليس كلام بشر وان يستحضر عظمة المتكلم سبحانه ويتدبر كلامه فان التدبر هو المقصود) (4) . والاعراض عن تدبر كتاب الله تعالى سبب للضلال . قال ابن ابي العز الحنفي :(وسبب الاضلال الاعراض عن تدبر كلام الله وكلام رسوله والاشتغال بكلام اليونان والاراء المختلفة) (5) .وقال ابن سعدي - رحمه الله تعالى - عند قوله – تعالى -: (لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ): " أي هذه الحكمة من إنزاله ليتدبر الناس آياته فيستخرجوا علمها ويتأمَّلُوا أسرارها وحكمها, فإنه بالتدبر فيه، والتأمل لمعانيه, وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرةٍ, تُدْرَكُ بركته وخيره, وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن, وأنه من أفضل الأعمال, وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود " (6) وقال أيضا -رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى : {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا} [النساء] (فإن في تدبر كتاب الله **مفتاحا للعلوم والمعارف , وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم , وبه يزداد الايمان في القلب** وترسخ شجرته. فإنه يعرِّف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال; وما ينزه عنه من سمات النقص، ويعرِّف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرِّف العدو

.....

(1) مدارج السالكين (2 / 35 – 36) (2) الفوائد (ص 9) (3) التبيان (ص 27)
(4) مختصر منهاج القاصدين (ص 68) (5) شرح العقيدة الطحاوية (ص 207)
(6) تفسير ابن سعدي (ص 784)

الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب .و كلما ازداد العبد تأملا فيه ازداد علما وعملا وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ } وقال تعالى: { أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } . ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضا، ويوافق بعضه بعضا. فترى الحكم والقصة والإخبار تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضا، فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور، فلذلك قال تعالى: { وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا} أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلا) (1) .
قال النووي رحمه الله :(فإذا شرع في القراءة قليكن شانه الخشوع والتدبر عند القراءة والدلائل عليه أكثر من أن تحصر وأشهر واظهر من أن تذكر فهو المقصود والمطلوب وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب)(2) ثم ذكر رحمه الله أن السلف كانوا يتلون آية واحدة يتدبرونها ويرددونها إلى الصباح . ثم ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يردد (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا) [طه :114] وردد سعيد بن جبير رضي الله عنه (وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ) [البقرة :281.] (3) وتأمل قوله تعالى (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا) [الأنبياء :79] كيف قدم الله تعالى سليمان وخصه بالفهم .وكان بعض السلف رحمهم الله اذا قرأ آية او قرئت عليه يسقط ميتا من شدة تأثره بمعاني القران. ذكر ذلك (الثعلبي) رحمه الله في كتابه (قتلى القران) وهو كتاب فريد في بابه وربما لم يؤلف في هذا الباب الا (الثعلبي) رحمه الله .

ومن الوسائل المعينة على تدبر القران :

1- إخلاص النية لله تعالى وان يقصد بالتدبر ابتغاء مرضاته تعالى وإتباع أمره عندما أمرنا بتدبر القران .

2-حضور القلب لأن القلب هو الآلة التي يتم بها التدبر . قال تعالى (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) [الحج :46] .قال الماوردي : (فدلت هذه الاية على امرين: احدهما ان العقل علم ,والثاني :ام محله القلب) (4) . وذكر تعالى في موضع آخر من القران أن القران انزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم وليس على عقله {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ } [الشعراء :193]فالقلب هو مركز الإدراك .وقد فصل الشيخ محمد العثيمين رحمه الله القول في محل العقل هل هو في القلب أو في الدماغ ثم قال بعدما ذكر التفصيل (والذي ترجح عندي الآن :

.....

(1) تفسير ابن سعدي (ص 108) (2) التبيان (ص 40) (3) التبيان (ص 41) (4) ادب الدين والدنيا (ص 44)

: أن التصور والإدراك محله الدماغ ثم يبعث بذلك إلى القلب , والقلب يأمر ويدبر فيبعث بأوامره إلى الدماغ والدماغ يحرك الأعضاء) (1) وفصل الخلاف النووي في شرحه على مسلم وقال :(ومذهب اصحابنا وجماهير المتكلمين انه في القلب)(2) وذكر البخاري في الادب ان عليا يرى ان العقل في القلب(3)

3-اختيار الوقت المناسب كالليل للهدوء وسكون النفس واجتماع القلب والبعد عن الرياء والبعد عن المشاغل بخلاف النهار الذي لا يخلو غالبا من الأصوات التي قد تصرف القلب عن التدبر . قال تعالى {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلًا} [المزمل :6]. قال النووي رحمه الله : (واعلم أن فضيلة القيام بالليل والقراءة فيه تحصل بالقليل والكثير) (4).وو عند مسلم في رواية حكاها النووي والبخاري في بدء الوحي وفضائل القران ان جبريل كان يدارس النبي صلى الله عليه وسلم في الليل.

4- تكرار الآيات إذا توقف التدبر على ذلك . قال الغزالي رحمه الله (وذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد فليردد) (5) .

5- استشعار عظمة الله تعالى وانه يخاطبك بهذا القران .

6- الحرص على معرفة معانية , مراد الله تعالى بكل آية وذلك من خلال قراءة كتب التفسير أو حضور حلقات العلم لان المراد من القران ليس مجرد تلاوته بل فهمه وتدبره والعمل به .

7- التأني في القراءة وعدم إرهاق النفس . قال ابن عباس رضي الله عنه (لان اقرأ البقرة وال عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب إلي من أن اقرأ القران هذرمة) (6) .

8- يستحب استقبال القبلة .

9- اختيار مكان نظيف وهادئ ولهذا استحب بعض العلماء المسجد لكونه جامعا للنظافة وشرف المكان .

10 – ينبغي للقارئ أن يفهم و يستشعر معنى ما يقرؤه فإذا قرأ {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة :164] يستشعر عظمة خالق هذا الكون وانه لا يستطيع احد غير الله تعالى أن يخلق مثل خلقه وإذا تلا {أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُون }[[الواقعة :58] فليتفكر في هذه النطفة المهينة كيف تحولت إلى إنسان يحمل عقلا وسمعا وبصرا وإذ قرأ أحوال المعذبين استشعر الخوف وتجنب طريقهم وإذا قرأ أيه فيه رحمة طمع في رحمة الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستشعر ما يقرأ بقلبه ولسانه لما رواه حذيفة

.....

(1) إزالة الستار (ص 79) (2) (2/ 209) (3) (547) (4) التبيان (ص 32)
(5) الإحياء (ص 352) (6) الإحياء (ص 346)

رضي الله عنه قال: (صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع

عند المائة ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح النساء فقراها ثم افتتح آل عمران فقراها يقرا مترسلا إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم فكان ركوعه نحوا من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده ثم قام طويلا قريبا مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربي الأعلى فكان سجوده قريبا من قيامه) (1) . واخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له (لابن مسعود): " اقرأ علي القران" قال : فقلت يا رسول الله : اقرأ عليك, وعليك أنزل ؟ قال :" إني اشتهي أن اسمعه من غيري" فقرات النساء . حتى إذا بلغت {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا }[النساء :41] رفعت رأسي . أو غمزني رجل جنبي فرفعت رأسي . فرأيت دموعه تسيل) (2) وهذا يدل أيضا على انه صلى الله عليه وسلم كان يستشعر بقلبه ولسانه القران .

11 - الترتيل لقوله تعالى{ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا } [المزمل :40]. نقل النووي رحمه الله (اتفاق العلماء على استحباب الترتيل) (3) التبيان ص 42 قال بعض العلماء رحمهم الله (الترتيل مستحب للتدبر)

وقد وجد حلاوة القران من كان عدوا للرسول صلى الله عليه وسلم وهو الوليد بن المغيرة – عم أبي جهل – لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرا القران فانطلق إلى قومه فقال لهم : (والله لقد سمعت من محدثنا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلي ولا يعلى عليه) . وقال تعالى : {وَإِنْ أَحَدٌ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ) [سورة التوبة :6]. فجعل تعالى لسماع القران تأثيرا في أسماع المشركين . فإذا وجد حلاوة القران من هو غير مسلم فالمسلم أولى أن يجد حلاوته بعد تحصيل الأسباب المؤدية إلى ذلك وهو التدبر . وقد وجد حلاوة القران ايضا من هو غير عربي ولا يفهم من العربية شيئا , وقد سمعت كثيرا أن بعض الأمريكيين أو الأوربيين في بلادهم أنهم عندما يستمعون الى القران يتلى أن القران يجذبهم ويتأثرون بسماعه مع أنهم لا يفهمون شيئا منه , وهذا دليل على أن القران ليس كلام بشر فهو معجز ومؤثر في أسماع الناس حتى وإن كانوا غير مسلمين أو لا يفهمون العربية . وتأثرت الجن بسماعه { قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا } [سورة الجن الآيتان 1 و 2]

قال ابن القيم رحمه الله في نويته المشهورة :

فتدبر القران إن رمت الهدى فالعلم تحت راية القران.

.....

(1) رواه مسلم برقم (772) (2) اللفظ لمسلم برقم (800) (3) التبيان (ص 42)

12- البعد عن سماع الأغاني والموسيقى فهما يغلقان قلب الإنسان عن تدبر القران أو إيجاد حلاوته . قال ابن القيم رحمه الله في نونيته :

حب القران وحب الحان الغنا في قلب عبد لا يجتمعان .

وقال ابن الوردي في لاميته المشهورة :

اعتزل ذكر الاغاني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل

13- دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه عليه الصلاة والسلام كان خلفه القران فمن عرف سيرته صلى الله عليه وسلم كان اعرف بمعاني القران ومقاصده وأهدافه .

وبالإجمال يجب البعد عن المعاصي وأسبابها الموصلة إليها حتى يحصل التدبر على الوجه المطلوب فان للذنوب ظلمة في القلب تميته وتمنعه من التدبر . قال تعالى { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [المطففين :14]. قال ابن سعدي رحمه الله في تفسيره : (وفي هذه الآيات التحذير من الذنوب فإنها ترين على القلب وتغطيه شيئا فشيئا حتى ينطمس نوره وتموت بصيرته فتنقلب عليه الحقائق فيرى الباطل حقا والحق باطلا, وهذا من اعظم عقوبات الذنوب) (1) .

قال أبو العتاهية في أرجوزته الزهدية :

يا عجبا من ظلم الذنوب إن لها رينا على القلوب

وقال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها

وترك ا لذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها.

قال العبد الفقير الى الله كاتب هذه الاسطر :

.....

(1) تفسير ابن سعدي (ص 1015)

الانغماس في المعاصي والتكبر يسبب ا لبعد عن التدبر

فمن أراد العلم و التدبر يبعد عن الذنوب والتجبر .

وقال ايضا الفقير الى الله كاتب هذه الاسطر – غفر الله له :

فانظر لاهل العلم و القران وكل من أطاعوا الرحمن

كيف استخرجوا الكنوزا بالقرب منه فاتعظ تفوزا

ومن يكن عن ربه بعيدا يصبه الران أو يزيدا

ومن من ربه قريب يكن له من نوره نصيب.

ولهذا نرى أهل الطاعة والبعيدين عن المعاصي هم من يفتح الله على قلوبهم فيستنبطوا الفوائد والأحكام والعبر والدروس من القران بسبب بعدهم عن المعاصي . ولم نر يوما صاحب معصية استخرج فائدة أو استخلص عبرة أو حكما من القران بسبب الران الذي على قلبه . فكما أن ترك الذنوب من أسباب التدبر فان الانغماس في المعاصي من أسباب انغلاق القلب عن التدبر . ذكر أهل العلم أن من آثار ارتكاب المعاصي حرمان العلم النافع والتدبر من جملة العلم النافع .

وللتدبر علامات مستمدة من القران الكريم ذكرها الشيخ الدكتور خالد اللاحم الأستاذ المساعد في قسم القران وعلومه في جامعة الإمام حيث قال :

(ذكر الله تعالى في كتابه الكريم علامات وصفات تصف حقيقة تدبر القرآن وتوضحه بجلاء من ذلك :

1- ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة : 83]

2- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال : 2]

3- ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة : 124]

4- ﴿قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء : 107 – 109]

5- ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم : 58]

6- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان : 73]

7- ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص : 53]

8- ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر : 23] .

فتحصل من الآيات السابقة سبع علامات هي:

1- اجتماع القلب والفكر حين القراءة ، ودليله التوقف تعجبا وتعظيما.

2- البكاء من خشية الله.

3- زيادة لخشوع.

4- زيادة الإيمان ، ودليله التكرار العفوي للآيات.

5- الفرح والاستبشار.

6- القشعريرة خوفا من الله تعالى ثم غلبة الرجاء والسكينة .

7- السجود تعظيما لله عز وجل .

فمن وجد واحدة من هذه الصفات ، أو أكثر فقد وصل إلى حالة التدبر والتفكــر ، أما من لم يحصل أياً من هذه العلامات فهو محروم من تدبر القرآن ، ولم يصل بعد إلى شيء من كنوزه وذخائره) (1) .

فإذا وفقت لبذل أسباب التدبر فاعلم أن للتدبر فوائد منها :

1-ترسيخ الإيمان في القلب فان من يقرا شيئا مع فهم وتدبر وتمعن في معاني ما يقرؤه ليس كمن يقرا قراءة عابرة وليس له هم إلا أن ينتهي مما يقرأه.

2-معرفة الله بأسمائه وصفاته .

.....

(1) مفاتح تدبر القران والنجاح في الحياة (ص 14 – 15)

3- معرفة حال الدنيا ومآل من تمسك بها وفضلها على الآخرة أو أنكرها ومعرفة حال الآخرة ومال من فضلها على الدنيا .

4- -معرفة حال الآخرة بنعيمها وعذابها .

5- معرفة حال الأمم السابقة ومالت إليه من نعيم أو عذاب مع اخذ العبرة من قصصهم لان قصصهم ليست لمجرد السرد بل لأخذ العظة منها.

6-- معرفة الخير فنأخذ به ومعرفة الشر فنتجنبه

7- -معرفة ما يحبه الله ويبغضه .

وليعلم أن للتدبر والفهم موانع ذكرها ابن قدامة رحمه الله فقال (ومن ذلك أن يكون التالي مصرا على ذنب أو متصفا بكبر أو مبتلى بهوى مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصدؤه) (1) .قال تعالى {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} [البقرة :121] .قال الشوكاني رحمه الله في تفسيره : (يتلونه يعملون بما فيه) (2) .ولا يتأتى العمل به إلا بعد العلم والتدبر . وما ذكر من الآيات الدالة على التدبر كان على سبيل المثال لا الحصر . أرجو منه سبحانه وتعالى أن يوفقني ويلهمني الصواب ويجنبني الخطأ انه سميع مجيب . وممن توسع في الكلام على تدبر القران ا .د حكمت بن بشير ياسين الأستاذ بكلية القران الكريم والدراسات الإسلامية بالمدينة المنورة في كتابه (منهج تدبر القران الكريم) وكذلك سليمان بن عمر السنيدي في كتابه (تدبر القران) و د .هاشم بن علي الاهدل في كتابه (تعليم تدبر القران)

ومن ترك التدبر أو أعرض عنه فقد عرض نفسه لأحد المخاطر التالية :

1-إن عدم التدبر احد أنواع هجر القران . قال تعالى {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا } [الفرقان :30].

2-أن من ترك التدبر كان فيه شبه من المتكبرين . قال تعالى { وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } [سورة لقمان :7]

3- ذمه تعالى لمن قرأ القران بدون تدبر . قال تعالى {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد : 24]

4- ذم النبي صلى الله عليه وسلم لأقوام يقرؤون القران لا يجاوز حناجرهم فضلا عن أن يصل

.....

(1) مختصر منهاج القاصدين (ص 15) (2) فتح القدير (1 / 153)

إلى قلوبهم . أخرج البخاري من حديث آبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يقرؤون القران لا يجاوز حناجرهم أو حلقوهم) (1) وهذا في سياق الذم(2)

سيكون منهجي في تفسير سورة (الفاتحة) كالتالي :

اولا : عزو الايات القرانية بذكر رقم الاية والسورة.

ثانيا : تخريج الاحاديث بذكر رقم كل حديث من مصدره الاصلي

ثالثا: بيان فضل سورة الفاتحة وما تميزت به عن بقية السور الأخرى وسأقتصر في ذكر ما صح من الأحاديث فقط .

رابعا: إيضاح معنى كل كلمة من السورة المذكورة .

خامسا : الكلام على مايتعلق باللغة العربية من إعراب وبلاغة أو من شواهد شعرية وكل ما من شأنه توضيح المعنى .

سادسا : ذكر فوائد الآيات المذكورة .

سابعا : بيان ماشتملت عليه من المعاني العظيمة .

ثامنا : عدم الإطالة في الكلام على القراءات الواردة .

تاسعا : عدم الخوض في المسائل العقدية لان المقام مقام تفسير .

عاشرا : ذكر بعض من لطائف الفاتحة .

الحادي عشر : تجنب المسائل الفقهية المتعلقة بالسورة مثل : هل تجب قرائنها في كل ركعة أم لا , فليرجع في هذا الأمر إلى أهل الفقه

.....

(1) رقم الحديث (6931) (2) كتب الدكتور / فهد الوهبي بحثا عن (تدبر القران , مفهومه , اساليبه , اسبابه , آثاره) نشر في مجلة الدراسات القرانية العدد الثامن . وكتب الدكتور / خالد السبت بحثا اخر عن التدبر (مفهومه واركانه وانواعه) نشر في مجلة البحوث الاسلامية العدد (99)

فضل سورة الفاتحة وما تميزت به

سميت الفاتحة بهذا الاسم لان القران الكريم افتتح بها ومناسبة افتتاح القران بها كونها اشتملت على مجمل معاني القران ومقاصده فكل ما جاء بعدها فهو تفصيل لما أجمل فيها فهي أم الكتاب الذي احتوى على المعاني العظيمة الموجزة في بلاغة متناهية تحدى الله بها العرب وهم أهل البلاغة والفصاحة أن يأتوا بآية من مثله فلم يستطيعوا . قال ابن سعدي رحمه الله : (وجمع الله كمال القران لفظا ومعنى ومناسبة وحكما في قوله : { وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا } [الفرقان :33] (1) .وقد تحدى الله تعالى الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القران قال تعالى { قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء :88]. وتأمل كيف قدم الله الإنس على الجن في سياق التحدي في أن يأتوا بمثل هذا القران لان الإنس اشد فصاحة من الجن ولأنه أبلغ في التحدي بخلاف قوله تعالى { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} [سورة الرحمن :33] . فقدم الجن هنا لأنهم أمكن في الصعود إلى السماء إضافة إلى كونه ابلغ في التحدي . وكان من حكمة الله أن يتحدى كل قوم بما اشتهروا به وعرفوا أسراره فتحدى قوم موسى بالسحر لانتشار السحر في مصر الفرعونية وهذا من كمال ربوبيته وألوهيته سبحانه وتعالى . وكذلك قوم عيسى عليه السلام لما برعوا في الطب بعثه الله يبرئ الأكمه والأبرص ويشفي من ولد أعمى فلم يستطيعوا مجاراته وهذا من حكمة الله تعالى أن أعطى كل نبي معجزة للدلالة على صدق نبوته وحتى يذهب ما في نفوس قومه من شك في صدقه .وكون القران معجزا من عدة أوجه نوجزها بما يلي :

1- أن القران لم يتغير على مر العصور . قال تعالى : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }[سورة الحجر :9]. ولأن كل الكتب السماوية اعتراها تغير إلا القران .

2- إعجاز القران في بلاغته وفصاحته وأسلوبه وتراكيبه فتحدى العرب وهم اشد الناس بلاغة أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا . ومن الغريب أن بعض العلماء ذكر أن الله تعالى صرف العرب أن يأتوا بمثل القران في بلاغته وهم في الأصل قادرون ولكن الله صرفهم فهم قادرون أصلا لولا صرف الله لهم والصحيح أنهم غير قادرين أصلا لا صرفا وان الله لم يصرفهم وجزم به ابن عاشور في تفسيره (2) قال ابن النجار :(وقال احمد : القران معجز بنفسه فمن قال القران مقدور على مثله ولكن منع الله قدرتهم كفر بل هم معجز بنفسه والعجز شمل الخلق) (3) . وممن ناقش القول با " الصرفة في إعجاز القران " عرضا ونقدا د. عبدالرحمن بن معاضة الشهري أستاذ الدراسات القرآنية المشارك بجامعة الملك سعود .ورد الالوسي على من قال بالصرفة في مقدمة تفسيره .

.....

(1) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد (ص 18) (2) التحرير والتنوير (1 / 104)
(3) شرح الكوكب المنير (2 / 115)

3- إخباره عن قصص الأمم الماضية فلا يعلم احد القصص الماضية إلا الله تعالى فهي غير مؤرخة وهي من علم الغيب الذي يجب الايمان به .

4- إخباره عن الأمور الغيبة فلا يعلم الغيب إلا الله تعالى .قال تعالى { تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ } [هود :49]

5- عدم الملل من قراءته وسماعه بخلاف كلام المخلوقين . وهناك أوجه أخرى.

وقد ألف أبو بكر الباقلاني كتابه (إعجاز القران) فتوسع في ذكر كون القران معجزا وكذلك السيوطي في الإتقان والبيضاوي في إعجاز القران وذكر القرطبي وابن عاشور في مقدمة تفسيرهما شيئا من وجوه إعجاز القران والف غيرهم في ها الباب .أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد بن المعلى قال : كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه , فقلت يا رسول الله إني كنت أصلي فقال : الم يقل الله {اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم } [الأنفال : 24] ثم قال لي :" لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القران قبل أن تخرج من المسجد ". ثم اخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القران ؟ قال { الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } هي السبع المثاني والقران العظيم الذي أوتيته) (1).وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال (بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم ، لم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض ، لم ينزل قط إلا اليوم ، فسلم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما ، لم يؤتهما نبي قبلك ؛ فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته) (2) . و عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال (كنا في مسير لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت إن سيد الحي سليم وإن نفرنا غيب فهل منكم راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأبنه برقية فرقاه فبرأ فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنا فلما رجع قلنا : له أكنت تحسن رقية أو كنت ترى ؟ قال :لا, ما رقيت إلا بأم الكتاب قلنا :لا تحدثوا شيئا حتى نأتي أو نسأل النبي صلى الله عليه وسلم فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال وما كان يدريه أنها رقية ؟ اقسموا واضربوا لي بسهم).(3).وقد بوب البخاري رحمه الله لهذه السورة في كتاب الطب بقوله :(باب الرقي بفاتحة الكتاب) ويقول البني صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي :(قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : {الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ، قال الله : حمدني عبدي . وإذا قال : {الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ } ، قال الله : اثني علي عبدي . وإذا قال : {مَلِكِ يَوْمِ الدِّين } ، قال مجدني عبدي. وإذا قال :{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } ، قال : هذا بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل . فإذا قال : {اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيم * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } ، قال : هذا لعبدي . ولعبدي ما سأل)(4) .

.....

(1) الحديث برقم (4474) (2) أخرجه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم برقم (806)
(3) أخرجه البخاري برقم (5007) (4) أخرجه مسلم برقم (395)

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم: (قوله سبحانه : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين .. الحديث قال العلماء : المراد بالصلاة هنا الفاتحة سميت بذلك لأنها لا تصح الصلاة إلا بها كقوله صلى الله عليه وسلم :الحج عرفة ففيه دليل على وجوبها بعينها في الصلاة . قال العلماء : المراد قسمتها من جهة المعنى لأن نصفها تحميد لله تعالى وتمجيد وثناء عليه وتفويض إليه والنصف الثاني سؤال وتضرع وافتقار) (1) .

قال الواحدي في الوسيط في تفسير القران المجيد : (وما أسنى هذه الفضيلة , إذ لم يرد في شيء من القران هذه المقاسمة التي رويت في الفاتحة بين الله تعالى وبين العبد) (2) .

وذكر القرطبي في تفسيره (ومن شرفها أن الله قسمها بينه وبين عبده) (3)

وقد تفرد ت سورة الفاتحة عن غيرها من سورة القران الكريم بما يلي :

أولا : أن قراءتها ركن في الصلوات الخمس فلا تجزئ صلاة من غير قراءتها .واختصاص الفاتحة بالصلاة دون غيرها من سورة القران يدل على أن الفاتحة اشتملت على جميع مقاصد القران فمن قرأها لاحت له جميع معاني القران .

ثانيا : أنها رقية شافية بإذن الله كما تقدم في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .قال ابن رجب -رحمه الله – في تفسيره لسورة الفاتحة: (فالقرآنُ كلُّه شفاءٌ، والفاتحةُ أعظمُ سُورةٍ فيه، فلها من خصوصيَّة الشِّفاءِ ما ليس لغيرِها، ولم يَزْل العارفون يتَداوَون بها من أسقامِهم، ويجدون تأثيرَها في البُرْءِ والشِّفَاءِ عاجلاً؛ ولكن ها هُنا نُكتةٌ ينبغي التفطُّنُ لها، وهي: أنَّ الرقى والتَّعاوِيذ بمنزلةِ السِّلاح، والسِّلاحُ يَحتاجُ تأثيرُهُ إلى قوّةِ الضَّاربِ به، وكون المحلّ قابلاً للتأثير، فالسِّلاَحُ بضارِبِه لا بحدِّهِ، فمتى كان السِّلاحُ سِلاحًا تامًا في نفسِه لا آفةَ فيه، والسَّاعِدُ الضَّارِبُ به قويٌّ، والمضرُوبُ به قابلٌ للقطعِ أثَّر القطع لا مَحالة، ومتى تخلَّفَ شيءٌ من هذه الثَّلاثةِ تخلَّف تأثيرُه.) (4) . وذكر ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين انه أثناء إقامته في مكة كانت تصيبه بعض الأمراض فلا يجد طبيا فكان يعالج نفسه بالفاتحة فيرى تأثيرا عجيبا وكان يصف الفاتحة لمن يجد ألما فيشفى سريعا .(5)

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره:(وفي الفاتحة من الصفات ما ليس لغيرها حتى قيل إن جميع القران فيها وهي خمس وعشرون كلمة تضمنت جميع علوم القران) (6)

.....

(1) صحيح مسلم بشرح النووي (2 / 297) (2) انظر (ص 54) (3) تفسير القرطبي (1 / 96) (4) تفسير الفاتحة (ص 29) (5) مدا رج السالكين (1 / 133) (6) تفسير القرطبي (ص 96)

وقد اختلط على بعض الناس فضل الفاتحة فاستعملوها في غير محلها ربما عن حسن نية ويحسن أن ننقل بعض الفتاوى المتعلقة بالفاتحة .

سُئل الشيخ بن عثيمين -رحمه الله- هذا السؤال:

قراءة الفاتحة عند عقد الزواج حتى قد أصبح البعض يطلق عليها قراءة الفاتحة

و ليست العقد ، فيقول قرأت فاتحتي على فلانة؟ هل هذا مشروع ؟

الجواب:

الشيخ : ليس هذا بمشـروع بل هذا بدعة ، و قراءة الفاتحة أو غيرها من السور المعينة لا تقرأ إلا في الأماكن التي شرعها الشرع فإن قُرئت فـي غير الأماكن تعبدا فإنها تعتبر من البدع ، و قد رأينا كثيرا من الناس يقرؤون الفاتحة في كل المنـاسبـات، حتى إننا سمعنا من يقـول : اقرؤوا الفاتحة على الميت و على كذا على كذا و هذا كله من الأمُور المبتدعة المنكرة ، فالفاتحة و غيرها من السور لا تقرأ في أي حال و في أي مكان و في أي زمان إلا إذا كان ذلك مشروعًـا بكتاب الله و بسُنَّة رسوله صلى الله عليه و سلم ، و إلا فهي بدعةٌ يُنكرُ علَى فَاعِلِها. (1).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عندما سئل عن قراءة الفاتحة على القبر : (ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقرا الفاتحة عند زيارة القبر , وعلى هذا فقراءة الفاتحة عند زيارة القبور خلاف المشروع عن النبي صلى الله عليه وسلم) (2)

.....

(1) انظر موقع الشيخ ابن عثيمين على لشبكة العنكبوتية www .binothaimeen .com

(2) انظر فتاوى أركان الاسلام لابن عثيمين (ص 415)

وانتشر كذلك عند بعض اللاعبين وضع أيديهم فوق بعض ثم قراءة الفاتحة اعتقادا منهم أن قراءتها جلب البركة وربما النصر على الفريق المنافس قال الشيخ عبد الله الجبرين- رحمه الله - عندما سُئِلَ عن صحة هذا العمل من عدمه : (ليس هناك تعليمات ولا أوراد تتعلق بذلك ، وهذه الظاهرة التي هي جمع أيديهم فوق يد الكابتن ثم قراءة الفاتحة سرًّا أو جهرًا لا أصل لها في الشريعة ، والواجب التوبة من الأعمال التي أهمية لها. والله أعلم) (1). ومن البدع التي ابتدعها الناس أيضا في قراءة الفاتحة قراءتها بعد صلاة العشاء وقد ورد سؤال إلى اللجنة الدائمة للإفتاء والبحوث العلمية هذا نصه (أرجو من فضيلتكم إفتائي عن قراءة سورة الفاتحة بعد صلاة العشاء، أي بعد الوتر، وذلك لعدد غير محدد، مثل مائة مرة، أو أقل أو أكثر بدون تحديد عدد معين، أو وقت معين علمًا بأنني أقرأ القرآن دائمًا، راجيًا من المولى جل وعلا زيادة في الأجر والثواب , فهل هذا يعتبر بدعة أو لا ؟ وأنا بعد قراءة الفاتحة اطلب من الله التوبة والمغفرة والهداية، وفقكم الله لخدمة الإسلام والمسلمين) .

.....

(1) انظر موقع صيد الفوائد على الشبكة العنكبوتية

وكان الجواب (القرآن كلام الله -تعالى- وفضل كلامه -تعالى- على كلام البشر كفضل الله على عباده، وفضل قراءة القرآن عظيم، لا يقدر قدره إلا الله - سبحانه- لكن ليس للقارئ أن يخص سورة، أو آية بالتلاوة في وقت معين، أو لغرض معين، إلا ما خصه الرسول -صلى الله عليه وسلم- كفاتحة الكتاب للرقية، أو في الصلاة في كل ركعة، وكقراءة آية الكرسي، عندما يأخذ مضجعه من فراشه؛ للنوم ؛رجاء أن يحفظه الله من الشيطان، وكقراءة المعوذات الثلاثة: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ للرقية.وكذلك ليس له أن يلتزم تكرار سورة، أو آية مرات محددة إلا إذا ثبت ذلك عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ؛لأن ذلك عبادة، فيراعى فيها التوقيف من الشرع.ومن هذا يتبين أن تخصيص قراءة سورة الفاتحة بالليل بعد الوتر مرات بدعة، ولو لم يحدد العدد؛ لأنه لم يثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا عن أحد من خلفائه الراشدين -رضي الله عنهم- فالخير في القراءة دون تقيد بالفاتحة، ولا تخصيص للقراءة بالليل بعد الوتر، بل يشرع الإكثار من قراءة القرآن الكريم -للفاتحة وغيرها- من غير تحديد لعدد معين، أو وقت معين إلا ما جاء في الشرع المطهر، كما سبق بيانه.وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.). (1)

ثالثا: أنها تكاد تكون خالية من أحكام التجويد المعروفة عدا المد في (ولا الضالين) وهذا فيه من التسهيل ما هو واضح على جميع الناس ممن يعرفون العربية أو غيرهم حتى تسهل قراءتها على الجميع .

.....

(1) (فتوى وقم: 7012) (2 / 342) و انظر موقع رسالة الإسلام على الشبكة العنكبوتية www.resaltalislam.org

أسماء سورة الفاتحة

وردت عدة أسماء لسورة الفاتحة وتعدد أسماء الشيء عند العرب يدل على عظمته كأسماء الله الحسنى وقد أوصلها القرطبي رحمه الله في تفسيره إلى اثني عشر اسما نورد منها ما يلي :

أولا : الصلاة والمراد القراءة كما قال الله تعالى لنبيه صله الله عليه وسلم { وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً } [الإسراء :110] والمقصود القراءة . قال الله تعالى في الحديث القدسي (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين) (1) .

ثانيا :الحمد لذكر الحمد لله وليعلم أن أسماء القران إما بالوصف كالحمد أو بالإضافة لشيء اختصت به كسورة البقرة أو سورة يوسف بسبب ذكر هذا الشيء في هذه السورة .

ثالثا : فاتحة الكتاب لان القران يفتتح بها وقد حكى القرطبي رحمه الله الإجماع في تفسيره على هذه التسمية من غير خلاف بين العلماء (2) ص 97 . وفي هذا إشارة إلى وجود خلاف بين العلماء رحمه الله على بعض التسميات الأخرى . ولا يتوهم من هذه التسمية أنها أول سورة نزلت من القران فهي أول سور القران ترتيبا لا تنزيلا . قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله عند تفسيره الفاتحة (وقد قيل إنها أول سورة نزلت كاملة) (3) فاستعماله رحمه الله للفظ (قيل) بصيغة التضعيف فيه إشارة إلى عدم قوة هذا القول .

رابعا : الرقية وقد تقدم في الحديث (وما يدريك أنها رقية ؟ قال يا رسول الله شيء القي في روعي) (4)

خامسا : السبع المثاني {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيم } سورة الحجر :87]

قال ابن رجب – رحمه الله - : (واعلم ان المثاني تطلق باعتبار معنيين : احدهما :باعتبار ما ثني لفظه وكرر . والثاني :باعتبار ما ثنيت انواعه واقسامه , وكررت فلان التثنية يراد بها مطلق العدد من غير تخصيص بعدد الاثنين كما في قوله تعالى :{ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ}

[الملك :4] أي مرة بعد مرة) . (5)

سادسا : الشافية لان اللديغ شفي بها وهناك أسماء أخرى مذكورة في كتب التفسير المطولة فمن أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى الكتب المطولة كتفسير القرطبي والطبري وابن كثير والالوسي والبحر المحيط و مفاتح الغيب .

.....

(1) تقدم تخريجه (2) تفسير القرطبي (ص 97) (3) تفسير جزء عم (ص7)

(4) سبق تخريجه (5) تفسير الفاتحة (ص 26 – 27)

تفسير سورة الفاتحة

(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)

حكى القرطبي رحمه الله الإجماع على أن الاستعاذة ليست من القران ولا آية منه . (1). ذكر النووي رحمه الله في التبيان أن التعوذ مستحب وليس بواجب (2).وذكر أيضا رحمه الله أن اللفظ المشهور هو (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) (3) و هناك صورة أخرى وهي (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) (4) لقوله تعالى {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [سورة الأعراف : 200] وهذه الأخيرة رويت عن ابن مسعود رضي الله عنه .وهناك صيغة ثالثة وهي أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم . وقد أشار أبو عمر الداني رحمه الله في كتابه (التيسير في القراءات السبع) " أن المستعمل عند الحذاق من أهل الأداء في لفظ الاستعاذة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم دون غيره لموافقته الكتاب والسنة " (5) ثم ساق الأدلة من القرآن المؤيدة لما ذهب إليه .قال ابن القيم رحمه الله (اعلم أن لفظ " عاذ " وما تصرف منه يدل على التحرز والتحصن والنجاة وحقيقة معناها : الهروب من شي تخافه إلى من يعصمك منه) (6) .قال ابن كثير رحمه الله (فالله تعالى يأمر بمصانعة (العدو الإنسي) والإحسان إليه ليرده عنه طبعه إلى الموالاة والمصافاة ويأمر بالاستعاذة من (العدو الشيطاني) لا محالة إذا لا يقبل مصانعة ولا إحسانا ولا يبتغي غير هلاك بني ادم لشدة العداوة بينه وبين أبيه ادم كما قال تعالى : { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا } وقال تعالى: {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ } وقد اقسم لآدم وكذب عليه فكيف معاملته لنا وقد قال: {فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } (7) . فالفرق بين الاستعاذة من شيطان الجن وشيطان الإنس , أن شيطان الجن تجب الاستعاذة منه بكل حال لأنه شرير بطبعه ويريد إغواء بين ادم وصدهم عن أي خير, أما شيطان الإنس فانه قد يرتدع بالحسنى لأنه ليس شريرا بطبعه كشيطان الجن .

الاستعاذة طلب اللجوء إلى الله لدفع الشر والليا ذ طلب حصول الخير .قال المتنبي :

يا من ألوذ به فيما أوأمله ومن أعوذ به ممن أحاذره .

والأصل في الاستعاذة قوله تعالى {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [سورة النحل :98] فقوله تعالى {فَإِذَا قَرَأْتَ } أي إذا أردت القراءة كقوله تعالى {إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ} [سورة المائدة :6]أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة .

.....

(1) تفسير القرطبي (ص 75) (2) التبيان (ص 39) (3) التبيان (39)(4) التبيان (ص 39) (5) التيسير (ص 15) (6) بدائع الفوائد (ص292)

(7) مختصر تفسير ابن كثير (1 / 17)

والأمرموجه إلى جميع المسلمين ممن يتأتى خطابه .وقال آخرون إن الاستعاذة تكون بعد الانتهاء من القراءة لقوله تعالى . { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ.. } فعبر تعالى بالفعل الماضي مما يدل على أن الاستعاذة تكون بعد الانتهاء من القراءة . وقال بعضهم إن الاستعاذة تكون قبل وبعد القراءة جمعا بين الدليلين .والأول اظهر..والله اعلم .والاستعاذة استفعال فالسين والتاء للطلب كما يقال استفتى لطلب الفتيا واستغفر لطلب المغفرة فاستعاذ طلب العياذ بالله واللجوء إليه .

معنى (أعوذ) التجئ إلى الله وحده دون غيره واعتصم به لدفع كل الشرور من شياطين الإنس والجن.وفي الاستعاذة بالله اعتراف بقدرة الله تعالى وإقرار بضعف البشر الذي لا يقدر على دفع شر الشيطان دون الاستعانة بالله واللجوء إليه .. وفيها أيضا اعتراف العبد بان الشيطان عدو له وهو كذلك قال تعالى: { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا } [سورة فاطر :6] .ووجه كونه عدوا عند الاستعاذة أن العبد لا يستعيذ إلا بمن خشي منه الشر فيلجأ إلى القوي الجبار لدفع شر الشيطان وهذا لب الاستعاذة .

والاستعاذة نوعان :

1- مشروعة وهي الاستعانة بالله أو بأسمائه أو صفات وينبغي عند الاستعاذة استحضار أن العبد ضعيف وانه يستمد القوة منه تعالى وأننا نتعبد الله تعالى بالاستعاذة به والاستعاذة بالشيء فيه

خضوع له وإذلال وهذا وجه كونها عبادة فلا تصرف إلا لله وصرفها لغير الله أي الاستعاذة فيه قدح بالتوحيد .

2-استعاذة غير مشروعة وهي الاستعاذة بكل ما سوى الله تعالى من جن أو انس أو أموات قال تعالى { وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا } [الجن :4]

الله : سيأتي الكلام عليه بالتفصيل إن شاء الله .

الشيطان : مشتق من شطن إذا بعد يقال بئر شطون إذا بعد قعرها وسمي الشيطان شيطانا لبعده عن الحق. ومنه قول النابغة الذبياني :

نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها رهين

وقول الاخر:

نوى شطنتهم عن هوانا وهيجت لنا طربا ان الخطوب تهيج

ويطلق لفظ (شيطان) على كل متمرد من الجن والإنس.قال تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ } [الأنعام : 112] فجعل الله تعالى شياطين من الإنس . والنون هنا أصلية واستدل أصحاب هذا القول ببيت لأمية بن أبي الصلت :

أيما شا طن عصاه عكاه ثم يلقى في السجن والأكبال .

قالوا : لو كان من شاط لقال شائط لكنه قال شاطن فهذا يدل على أن نون شيطان أصلية .

وقيل بل هو من شاط إذا احترق, ومنه قول الأعشى :

قد تخضب العير من مكنون فائله وقد يشيط على أرماحنا البطل

ورجح ابن كثير رحمه الله في تفسيره قول البصريين في أن النون أصلية فالشيطان من شطن وليس من شاط (1) . ولم يرجح النووي رحمه الله في المجموع شيئا عند ذكره الخلاف في احد المواضع وظاهر كلامه في موضع اخر من المجموع في باب نواقض الوضوء ان النون اصلية ورجح في شرحه لصحيح مسلم أن النون أصلية , ورجحه أيضا الطبري والقرطبي رحمها الله في تفسيرهما.قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى **{الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[البقرة:268]** **"وقيل: إنه مشتق من «شطن» إذا بعُد – وعلى هذا فالنون أصلية؛ وقيل: إنه مشتق من «شاط» إذا تغيظ، وغضب؛ لأن صفته هو التغيظ، والغضب، والحمق، والجهل؛ ولكن الأول أقرب: أنه من «شطن» إذا بعد؛ بدليل انه مصروف "** (2)

.....

(1) **مختصر تفسير ابن كثير (ص 18)** (2) تفسير سورة البقرة (3 /347)

.ولم يرجح ابن الجوزي رحمه الله شيئا عندما ذكر الخلاف في (نزهة الأعين النواظر) وكأنه لم يترجح شيء عنده وهذه طريقة بعض أهل العلم عند سرد أي خلاف فإذا لم يترجح شيء عنده فانه لايرجح شيئا ويكتفي بمجرد ذكر الخلاف . وحكي الوجهين ابن خالويه ولم يرجح شيئا (1) .والخلاف حول النون هل هي أصلية أم لا ينبني عليه صرف الشيطان من عدمه فإذا قلنا إن النون زائدة لم يصرف لكونه مزيدا بالإلف والنون كعثمان وعفان وعليه قول ابن مالك في الألفية :

كذاك حاوي زائدي (فعلانا) كـ: (غطفان) وكـ (أصبهانا).

وإذا قلنا إن النون أصلية صرف لعدم توفر الشرط حينئذ.وورد في القران مصروفا في أكثر من موضع قال تعالى : {إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا} [النساء : 117]وقال عز وجل : {وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ } [الحجر: 17]. وهذه يرجح قول من قال إنه مصروف والله اعلم . ذكر ابن منظور في (لسان العرب) تحت مادة (ش ط ن) الخلاف حول صرف شيطان من عدمه . والخلاف حول النون هل هي أصلية أم لا, ليس فيه كبير فائدة لأنه لاينبني عليه حكم شرعي فينبغي عدم الاكتراث به إلا أهل اللغة .

الرجيم : فعيل بمعنى مفعول أي مرجوم كقولك قتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح

وذبيح بمعنى مذبوح قال تعالى : { وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ}

[سورة الملك :5]. وقال تعالى { لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ} [سورة الصافات :8] . فيتضح من الآيتين السابقتين قوة قول من قال فعيل بمعنى مفعول لأن الله تعالى أخبر أنهم يقذفون ويرجمون فكل شيطان مقذوف ومرجوم .وقيل فعيل بمعنى فاعل لأنه يرجم غيره بالإغواء و وكلا المعنيين له حظ من النظر الصحيح والأول أشهر وأقوى والله اعلم .ورجح ابن كثير رحمه الله في تفسيره أن فعيل بمعنى مفعول (2) وسلك ابن خالويه مسلك ابن كثير(3) . قال ابن منظور في لسان العرب (والرَّجْمُ اللعن، ومنه الشيطان الرَّجِيمُ أَي المَرْجُومُ بالكَواكب، صُرِفَ إِلى فَعِيلٍ من مَفْعُولٍ، وقيل: رَجِيم ملعون مَرْجوم باللعنة مُبْعَدٌ مطرود، وهو قول أَهل التفسير، قال: ويكون الرَّجيمُ بمعنى المَشْتُوم المَنسْوب من قوله تعالى: لئِنْ لم تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّك؛ أَي لأَسُبَّنَّكَ) (4)

وقد أمر الله تعالى بالاستعاذة عند قراءة القران فقال {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } [النحل : 98]. ومن المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة عند الغضب لما اخرج مسلم في صحيح عن سليمان بن صرد قال : (استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم

.....

(1) انظر اعراب ثلاثين سورة من القران (ص 8) (2) مختصر تفسير ابن كثير (ص 18) (3) انظر اعراب ثلاثين سورة من القران (ص 8) (4) لسان العرب (6 / 16)

فجعل احدهما تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إني لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " فقال الرجل : وهل ترى بي من جنون ؟) (1) .

وكذلك التعوذ عند دخول الخلاء والتعوذ عند سماع نهيق الحمير أو نباح الكلاب والتعوذ عند رؤية ما نكره في النوم وهناك مواضع أخرى . وللاستعاذة خمسة أركان :

1- الاستعاذة وهي قول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

2- المستعيذ وهو قائل الاستعاذة .

3- المستعاذ به وهو الله تعالى وهو الركن الأعظم

4- المستعاذ منه ويشمل شيطان الإنس والجن

5- المطلب الذي يستعاذ منه كدفع شر أو جلب مصلحة . وذكر الله تعالى في القران أن رسله استعاذوا به قال تعالى عن يوسف عليه السلام {قَالَ مَعَاذَ اللّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إنا إِذًا لَّظَالِمُونَ } [يوسف :79] وقال {مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ } [يوسف : 23] وقال عن إبراهيم عليه السلام { قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ } [هود :47] قال ابن القيم رحمه الله : (ولما كان الشيطان على نوعين : نوع يُرى عياناً وهو شيطان الإنس ، ونوع لا يرى وهو شيطان الجن ، أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكتفي من شر شيطان الإنس بالإعراض عنه والعفو والدفع بالتي هي أحسن ، ومن شيطان الجن بالاستعاذة منه .قال : والذكر أبلغ في دفع شر شياطين الجن ، والعفو والإعراض

والدفع بالإحسان أبلغ في دفع شر شياطين الإنس) (2) .ذكر ابن الجوزي في (نزهة الأعين النواظر) أن بعض المفسرين ذكروا أن الشيطان يأتي في القران على أربعة أوجه :

1 - الكاهن ومنه قوله تعالى : {وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ } [البقرة : 15] وقيل :هم رؤساؤهم في الكفر.

2 - الطاغي من الجن والإنس ومنه قوله تعالى في الأنعام : {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ }.[الأنعام :121].

3- الحية ومنه قوله تعالى في الصافات : {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ } [الصافات : 65]

4- أمية بن خلف ومنه قوله تعالى في الفرقان : { وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا }

.....

(1) أخرجه مسلم برقم (2610) (2) زاد المعاد (2 / 462 -463)

[الفرقان: 29] وقيل أريد بالشيطان هاهنا أبو جهل وبالإنسان عقبة بن أبي معيط.(1)

سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله السؤال التالي :

(أحسن الله إليكم يقول بعض الناس بعد التثاؤب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هل ورد ذلك؟) .

الجواب : (لم يرد هذا أي لم يرد أن الإنسان إذا تثاءب يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وإنما الوارد أن يكتم الإنسان التثاؤب ما استطاع وإذا لم يستطع فليضع يده على فيه والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أرشد إلى هذا عند التثاؤب ولم يقل وليستعيذ بالله من الشيطان الرجيم فإن قال قائل أليس الله يقول (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الأعراف :200] وقد أخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن التثاؤب من الشيطان فالجواب كل ذلك صحيح قال الله هذا وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من الشيطان لكن المراد بالنزغ في الآية الكريمة هو هم الإنسان بالسيئة إما بترك واجب وإما بفعل محرم فإذا أحس الإنسان بأنه أهم بذلك فليقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وأما التثاؤب فقد علم الرسول عليه الصلاة والسلام ما يسن أن يقوم به الإنسان عند وجود التثاؤب.) (2) .

للشيطان أساليب كثيرة في غواية بني ادم منها تزيين الباطل فيراه حقا وينفره من الحق فيراه باطلا ومنها الوسوسة يلقيها في قلب بين ادم ولهذا أمرنا الله تعالى بالاستعاذة من الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ومنها الأماني الكاذبة قال تعالى { يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا } [لبقرة : 120]ومنها دفع الناس إلى الكسل والخمول ومنها أيضا إلقاء الشبهات في قلوب بني ادم وكذلك دفعهم للشهوات المحرمة كالزنا واللواط والربا وغيره مما حرم الله تعالى . وقد توسع ابن الجوزي رحمه الله في كتابه (تلبيس إبليس) كثيرا في مداخل الشيطان على ابن ادم فمن أراد الاستزادة فليرجع إليه وكذلك ابن القيم رحمه الله توسع في مداخل الشيطان على ابن ادم في كتابه (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان)(3). ويستطيع الإنسان أن يدفع شر الشيطان بما دل عليه القران الكريم والسنة المطهرة نذكر منها على سبيل المثال :

.....

(1) نزهة الأعين النواظر (ص 375) (2) انظر موقع الشيخ رحمه الله الرسمي على الشبكة العنكبوتية (www.binothaimeen .com) (3) الف الشيخ محمد بن علي بن عثمان آل مجاهد كتابا جمع ماتعوذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم اسماه (مما تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم) كتب الشيخ الدكتور محمد المسند بحثا جيدا عن (اساليب الشيطان في اغواء بني ادم كما جاءت في القران الكريم) نشر في مجلة الدراسات القرانية (العدد التاسع)

الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان .قال تعالى {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ

فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [سورة الأعراف : 200] وفي موضع آخر { وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [سورة فصلت : 36].

1- قراءة المعوذتين لما أخرجه مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط ؟ {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } [الفلق : 1] و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ } . [الناس : 1] (1)

2- قراءة آية الكرسي لما أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: والله لأ رفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – فقص الحديث - فقال :إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لن يزال معك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح .وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " صدقك وهو كذوب ، ذاك شيطان " (2)

4- قراءة سورة البقرة لما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا تجعلوا بيوتكم مقابر .إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرا فيه البقرة)(3) .

5- ذكر الله تعالى . وهناك حروز أخرى .

وذكر الله تعالى ما يدفع الإنسان به الشيطان وشره في قوله : { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } [النحل : 99] فذكر تعالى أن الإيمان والتوكل على الله حق التوكل مع الأخذ بالأسباب مما يسد على الشيطان طريقه نحو المؤمنين . وهذا يفهم من منطوق الآية الكريمة , أما مفهومها فإنها تدل على أن الذين لا يتصفون بالإيمان ولا يتوكلون على الله فإنهم سيقعون في حبائل الشيطان .

قال ابن سعدي رحمه الله :(جمع الله استعاذة من اصول الشر وانواعها واوقاتها واحوالها في سورة {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ }) (4)

وللاستعاذة عدة فوائد منها :

1- طرد الشيطان حتى يحصل المقصود من قراءة القران وهو التدبر والفهم ومعرفة مراد الله تعالى لان الشيطان سيحول بين القارئ وقلبه فيحصل التشويش فلا يحصل المقصود وهو التدبر .

.....

(1) الحديث برقم (814) (2) الحديث برقم (5010) (3) الحديث برقم (870)

(4) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد (ص 18)

2- قال الرازي رحمه الله : (إن سر الاستعاذة هو الالتجاء إلى قادر يدفع الآفات عنك ثم إن اجل الأمور التي يلقي الشيطان وسوسته فيها "قراءة القران " " لأن من قرأ القران " ونوى عبادة الرحمن وتفكر في وعده ووعيده وآياته وبيناته ازدادت رغبته في الطاعات ورهبته عن المحرمات فلهذا السبب صارت قراءة القران من أعظم الطاعات فلا جرم كان سعي الشيطان في الصد عنه ابلغ وكان احتياج العبد إلى من يصونه عن شر الشيطان اشد فلهذه الحكمة اختصت قراءة القران بالاستعاذة)(1). وقال رحمه الله : (إنما قال :" أعوذ بالله " ولم يقل اسما آخر بل ذكر قوله " الله " لان هذا الاسم ابلغ في كونه زاجرا عن المعاصي من سائر الأسماء والصفات لأن الإله هو المستحق للعبادة ولا يكون كذلك إلا إذا كان قادرا عليما حكيما فقوله " أعوذ بالله " جار مجرى أن يقول :" أعوذ بالقادر العليم الحكيم وهذه الصفات هي نهاية في الزجر) (2).وقد ذكر الرازي -رحمه الله - في كتابه (ساحرة الطرف) تسع عشرة نكتة من نكت الاستعاذة .

3 - أن غياب الشيطان مجلية لحضور الملائكة عند قراءة القران فلا تجتمع الملائكة والشياطين يدل لهذا ما رواه البخاري في صحيحه عن **أسيد بن الحضير قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت الفرس، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت الفرس فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبا منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((اقرأ يا بن حضير، اقرأ يا بن حضير)). قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى (ابنه) وكان منها قريبا، فرفعت رأسي فا نصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة، فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها قال: ((أو تدري ما ذاك))؟ . قال: لا, قال: ((تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها, لا تتوارى منهم"** .(3)

4 - أن في الاستعاذة إشارة إلى أن ما سيأتي قران فيستعد السامع للتلاوة .وينبغي التنبيه إلى أن الاستعاذة نوع من أنواع العبادة لله تعالى فيجب أن نستحضر عندها التوجه إلى الله تعالى واللجوء إليه ولا نكتفي بمجرد تحريك اللسان بها .والشيطان له سلطة وغلبة على من يطيعه دون من يلتجأ إلى الله تعالى قال تعالى {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} [سورة الحجر :42]. فان قيل ما فائدة الاستعاذة إذا لم يكن للشيطان سبيل على المؤمنين ؟ قيل إن المؤمنين إنما حفظهم الله من الشيطان ووسوسته بفضل الاستعاذة وتطبيقها والعمل بمقتضاها وهو اللجوء إلى الله وحده دون سواه والبعد عن طريق الشيطان بحلاف المنافقين أو الكافرين فإنهم لم يعملوا بمقتضى الاستعاذة.

.....

(1) انظر ساحرة الطرق في الاستعاذة والبسملة والاسم والفعل والحرف (ص 84)

(2) انظر ساحرة الطرف (ص 89) (3) الحديث برقم (5018)

فصل ابن القيم رحمه الله الكلام على الاستعاذة في (بدائع الفوائد).وذكر شيئا من لطائفها في (إغاثة اللهفان).وتوسع الرازي رحمه الله في تفسيره في الكلام على الاستعاذة .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعظم امر الاستعاذة وامر قائلها . ثبت عند البخاري في صحيحه من حديث عائشة ان ابنة الجون لما ادخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنا منها قالت : اعوذ بالله منك , فقال لها : لقد عذت بعظيم الحقي بأهلك)(1) وفي رواية اخرى عند البخاري (قد عذت بمعاذ) (2) وعند احمد وغيره (من عاذ بالله فقد عاذ بمعاذ)(3) قال في فيض القدير :(قال ابن العربي :دليل على ان كل من صرح بالاستعاذة بالله لاحد من شيء فليجب اليه وليقبل منه)(4).

وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عظائم الامور وهذا يدل ان للاستعاذة شأنا عظيما .اخرج مسلم في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم امر اصحابه ان يتستعيذوا من عذاب القبر وفتنة والفتن ماظهر منها وما بطن و فتنة المسيح الدجال (5)

ومن تراجم مسلم في صحيحه (باب الدعوات والتعوذ) وساق احاديث تعوذ النبي صلى الله عليه وسلم من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وان يرد الى ارذل العمر وسوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء وجهد البلاء , وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي من نزل منزلا ان يقول :(اعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق) . قال النووي :(قال العلماء : واستعاذته صلى الله عليه وسلم من هذه الاشياء لتكمل صفاته في كل احواله وشرعه ايضا تعليما ....وفي هذه الاحاديث دليل لاستحباب الدعاء والاستعاذة من كل الاشياء المذكورة ومافي معناها وهذا هو الصحيح الذي اجمع عليه العلماء واهل الفتاوى في الامصار)(6) ونقل ابن حجر في الفتح كلام النووي المتقدم .(7) وترجم البخاري ابوابا متعددة للتعوذ ك(باب التعوذ من الفتن) و (باب التعوذ من غلبة الرجال) و (باب التعوذ من عذاب القبر) و (باب التعوذ من فتنة المحيا والممات) و (باب التعوذ من المأثم والمغرم) و (باب الاستعاذة من الجبن والكسل) و (باب التعوذ من البخل) و (باب التعوذ من ارذل العمر) و (باب الاتسعاذة من فتنة الغنى) و (باب التعوذ من فتنة الفقر) وساق لكل باب احاديثه. جمع البغوي الاحاديث التي ورد فيها التعوذ في مصابيح السنة في باب (الاستعاذة).

(بسم الله الرحمن الرحيم) : الباء للاستعانة أو للمصاحبة وقيل للالصاق فان قلنا للاستعانة كان التقدير استعين بالله واختار الزمخشري في الكشاف أنها للمصاحبة وقد علق شيخنا محمد بن عثيمين على سبب اختيار الزمخشري كونها للمصاحبة لا للاستعانة عند شرحه

.....

(1) الحديث برقم (5254) (2) الحديث برقم (5255) (3) الحديث عند احمد برقم (475)
(4) فيض القدير (8 / 179) (5) الحديث برقم (2867) (6) شرح النووي على مسلم (2 / 195)
(7) انظر (12 / 7593)

للبيقونية بقوله :(وممن قال إنها للمصاحبة؛ الزمخشري صاحب الكشاف وهو معتزلي من المعتزلة، وكتابه الكشاف فيه اعتزاليان كثيرة قد لا يستطيع أن يعرفها كل إنسان، حتى قال البلقيني: أخرجت من الكشاف اعتزا ليات بالمناقيش. وهذا يدل على أنها خفية. والزمخشري رجَّح أن الباء للمصاحبة، مع أن الظاهر أنها للاستعانة! لكنه رجّح المصاحبة؛ لأن المعتزلة يرون أن الإنسان مستقلٌ بعمله فإذا كان مستقلاً بعمله فإنه لا يحتاج للاستعانة لكن لا شك أن المراد بالباء هو: الاستعانة التي تصاحب كل الفعل، فهي في الأصل للاستعانة وهي مصاحبة للإنسان من أول الفعل إلى آخره، وقد تفيد معنى آخراً وهو التبرك إذا لم نحمل التبرك على الاستعانة، ونقول كل مستعين بشيء فإنه متبرك به) (1) وكان الزمخشري مجاهرا بالاعتزال حتى انه ذا طرق الباب على احد وقيل له من , قال :(ابو القاسم المعتزلي).ونحى الالوسي رحمه الله منحى شيخنا ابن عثيمين في تفسيره (روح المعاني) فرجح أنها للاستعانة حيث قال بعد ذكر الخلاف والأوجه في الباء : (وعندي أن الاستعانة أولى بل يكاد أن تكون متعينة إذا فيها من الأدب والاستكانة وإظهار العبودية ما ليس في دعوى المصاحبة ولان فيها تلميحا من أول وهلة إلى إسقاط الحول والقوة ونفي استقلال قدر العباد وتأثيرها وهو استفتاح لباب الرحمة وظفر بكنز لا حول ولا قوة إلا بالله ولان هذا المعنى أمس بقوله تعالى :(وإياك نستعين) ولأنه كالمتعين في قوله (اقرأ باسم ربك)ليكون جوابا لقوله صلى الله عليه وسلم (لست بقارئ) على أتم وجه وما ذكروه في تأيد المصاحبة كله مردود) . (2) والجار والمجرور متعلق بمحذوف . قال شيخنا محمد بن عثيمين رحمه الله عند كلامه على متعلق الجار والمجرور : (الجار والمجرور متعلق بمحذوف؛ وهذا المحذوف يقَدَّر فعلاً متأخراً مناسباً؛ فإذا قلت: "باسم الله" وأنت تريد أن تأكل؛ تقدر الفعل: "باسم الله آكل"..قلنا: إنه يجب أن يكون متعلقاً بمحذوف؛ لأن الجار والمجرور معمولان؛ ولا بد لكل معمول من عامل.. وقدرناه متأخراً لفائدتين:

الفائدة الأولى: التبرك بتقديم اسم الله عزّ وجل.

والفائدة الثانية: الحصر؛ لأن تأخير العامل يفيد الحصر، كأنك تقول: لا آكل باسم أحد متبركاً به، ومستعيناً به، إلا باسم الله عزّ وجلّ. وقدرناه فعلاً؛ لأن الأصل في العمل الأفعال . وهذه يعرفها أهل النحو؛ ولهذا لا تعمل الأسماء إلا بشروط وقدرناه مناسباً؛ لأنه أدلّ على المقصود؛ ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم :(من لم يذبح فليذبح باسم الله . او قال صلى الله عليه وسلم"على اسم الله": فخص الفعل.) (3) .وحذف متعلق الجار والمجرور سائغ في اللغة ومنه قوله تعالى: {فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ } [النمل : 12] فحذف المتعلق وتقديره اذهب في تسع ايات .

.....

(1) شرح البيقونية (ص 19) (2) روح المعاني (1 / 47) (3) تفسير جزء عم (ص 8)

". ورجح الشوكاني رحمه الله في تفسيره كون الفعل متأخرا (1) .واختار أبو حيان في تفسيره أن الباء للاستعانة والزمخشري للمصاحبة . والاسم هو (اللفظ الدال بالوضع على موجود في العيان إن كان محسوسا وفي الأذهان إن كان معقولا من غير تعرض بنيته للزمان و مدلوله هو المسمى) (2) .وذكر الأصفهاني أن (الاسم ما يعرف به ذات الشئ) (3)

ولحذف متعلق الجار والمجرور فوائد سواء قدرناه فعلا (ابد أ) كما يقول الكوفيون او اسما (ابتدائي) كما يرى البصريون منها انه لاينبغي تقديم شي على اسم الله ومنها تحقيق البدء ببسم الله فلو ذكر المتعلق لسبق المتعلق اسم الله في النطق وفاتت بركة البدء بالتبرك بسم الله .وينغي تاخيره اذا ذكر حتى تحصل البركة بالبدء باسمه تعالى ولانه لاينبغي تقديم شيئ على اسمه تعالى تادبا واختار الرازي في تفسيره تقديم اسم الله على المتعلق وذكر اوجه اختياره التقديم ..وربما يستدل لذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم :(باسمك ربي وضعت جنبي)(4) .فالجار والمجرور متعلق ب (وضعت) وقد اخره النبي صلى الله عليه وسلم لاستجلاب البركة بالبدء ببسم الله تعالى. وعند ابي داود (باسم الله وضعت جنبي) (5) .وخلاف النحويين من بصريين وكوفيين ليس تحته كبير فائدة فلا ينبغي التحدث عنه كثيرا الا للمختصيين .ومتعلق المحذوف يقدر بما يناسب المقام . فمن اراد ان يأكل يقول (بسم الله) والتقدير باسم الله آكل ومن اراد ان يشرب يقول (بسم الله) والتقدير بسم الله اشرب . قال الشاعر:

فقلت الى الطعام فقال منهم فريق تحسد الانس الطعام

وتقدير المحذوف هنا فعل يناسب المقام وهو (قوموا) الى الطعام.

ولابد لكل جار من متعلق .قال ابن ظهيرة في نظم قواعد الاعراب لابن هشام :

لابد للجار من التعلق بفعل او معناه نحو المرتقي

واسم هنا مفرد مضاف لله تعالى وقد تقرر في علم ا لأصول أن الاسم إذا كان مفردا مضافا فانه يعم فعلى هذا تكون الاستعانة بجميع صفات الله الحسنى. ونظير هذا قوله تعالى {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى : 11] يشمل جميع أنواع النعم لان نعمة مفرد مضاف إلى رب فيعم ولهذا قال العلماء : لو قال : امرأتي طالق طلقت جميع نسائه ما لم يرد واحد معينة لأن امرأة مفرد مضاف إلى ياء المتكلم فتعم .قال الرازي في تفسيره : (إن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة قال بسم الله مجريها ومرساها فوجد النجاة بنصف هذه الكلمة) (6).ذكر البصريون ,ومنهم المبرد, أن الاسم مشتق من السمو وهو العلو لان الاسم يرفع صاحبه.وقال الكوفيون, ومنهم ثعلب , إن الاسم مشتق من السمة وهي العلامة فهو علامة للمسمى ورجح القرطبي والبغوي والشوكاني وأبو حيان والواحدي - رحمهم الله -في تفسيرهم قول البصريين

.....

(1) انظر فتح القدير (1 / 21) (2) البحر المحيط (1 /127) . (3) انظر مفردات ألفاظ القران (ص 428) (4) الحديث عند البخاري برقم (6320) (5) الحديث برقم (5046) (6) انظر(1 / 141)

ورجحه الأصفهاني .(1) . والخلاف حول أصل الاسم ليس فيه كبير فائدة فلا ينبغي إطالة الكلام حوله الا للمختصين من اهل اللغة .حكى الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- الإجماع على أن البسملة في سورة النمل آية . وحكى الإجماع أيضا على أن البسملة ليست آية من براءة (2).وشنع ابن حزم في الملل والنحل كعادته – عفا الله عنه – القول على البصريين والكوفيين فقال ان قول الكوفيين والبصريين فاسد وهو من افتعال النحاة وان الاسم جامد.(3) وعقد فصلا عن الاسم والمسمى .وكان – عفا الله عنه – سليط اللسان مع مخالفيه حتى قيل : (ان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان) عفا الله عنا وعنه.وغفر له زلات لسانه في مقابل علمه وحسناته.

حكى الالوسي وغيره الاتفاق أن البسملة جزء من آية {إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } [النمل : 30] ثم ذكر الخلاف مطولا في هل البسملة آية من الفاتحة أو لا.(4) .وممن رجح أنها ليست آية القرطبي رحمه الله في تفسيره , وكذلك شيخنا محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى (5)وحكى البغوي الخلاف ولم يرجح شيئا. قال الشوكاني رحمه الله في الكلام عن البسملة :(واعلم أن الأمة أجمعت أنه لا يكفر من أثبتها ، ولا من نفاها ؛ لاختلاف العلماء فيها ، بخلاف ما لو نفى حرفاً مُجمعاً عليه ، أو أثبت ما لم يقل به أحد : فإنه يكفر بالإجماع) (6) ونقل النووي الاجماع بان النافي للبسملة لايكفر , ذكره في شرح الكوكب المنير . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- : (إن النزاع فيها من مسائل الاجتهاد فمن قال هي من القران حيث كتبت أو قال ليست من القران إلا في سورة النمل كان قوله من الأقوال التي ساع فيها الاجتهاد)(7)وذكر ابن النجارفي شرح الكوكب المنير انه لايكفر من قال انها ليست من الفاتحة ولا من قال انها ليست من القران لانها ليست من القران القطعي وذكر الاقليشي -رحمه الله - في تفسيره لسورة الفاتحة في كون البسملة آية أم لا, أنها مسالة اجتهاد وإنها موكله إلى النظر فالمسالة عنده واسعة.(8).وكلامه -رحمه الله - قريب من كلام ابن تيمية -رحمه الله-.وينبني على الخلاف على البسملة وجوب قراءتها في الصلاة من عدمه فمن قال إنها آية وجب عنده قراءتها ومن قال ليست آية لم تجب واختار ابن مفلح في الفروع انها ليست اية على الأصح. وتوسط الشنقيطي صاحب الأضواء في أنها آية في بعض القراءات وليست آية في أخرى ولم ير غرابة في ذلك, ومثل لذلك بلفظة (هو) في قوله تعالى:(فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)(الحديد : 24) فان لفظة (هو) من القران في قراءة ابن كثير وابي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وليست من القران في قراءة نافع وابن عامر لانهما قرآ :(فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) وبعض المصاحف فيه لفظة (هو) وبعضها ليست فيه .(9) .

.....

(1) انظر مفردات ألفاظ القران (ص 428) (2) مذكرة في أصول الفقه (ص55)
(3)انظر (3 / 299) (4) روح المعاني (ص 39) (5) تفسير جزء عم (ص 10)
(6) نيل الأوطار (2 /233) (7) انظر مجموع الفتاوى (13 / 418 – 419) (8) تفسير الفاتحة (ص 70) (9) انظر مذكرة اصول الفقه على روضة الناظر (ص81)

البسملة هي قول بسم الله الرحمن الرحيم كالحولقة وقد يقال حوقلة لغتان حكاهما النووي في شرح مسلم عن اهل اللغة وحكى ابن خالويه في(اعراب ثلاثين سورة من القران) حولقة ولم يذكر حوقلة وهي قول :لاحول ولا قوة إلا بالله ودمعزعزك الله وطبقل اطال الله بقائك وهلل لا اله الا الله وسبحل سبحان الله وحمدل الحمد لله وجيعل جعلت فداك .ومن النحت قول عبد يغوث ابن الحارث:

وتضحك مني شيخة عبشمية * كأن لم ترى قبلي اسيرا يمانيا

وقول الاخر :

اقول لها ودمع العين جاري * الم تحزنك حيعلة المنادي

ذكر ابن عاشور في تفسيره انه رأى في شرح ابن هارون على مختصر ابن الحاجب ان الافعال المنحوتة سبعة وهي المذكورة . عد بعضهم البسملة لفظا مولدا لأن العرب الفصحاء لم ينطقوا بها وعدها آخرون لفظا عربيا ليس مولدا واحتجوا بقول عمر بن أبي ربيعة

لقد بسملت ليلى غداة لقيتها * فيا حبذا ذاك الحديث المبسمل .

والبسملة من باب النحت وهو (استعمال كلمتين فأكثر في كلمة واحدة كدمعز لأدام عزك).

قال سيبويه :(وقد يجعلون للنسب في الاضافة اسما بمنزلة جعفري ويجعلون فيه من حروف الاول والاخر ولايخرجونه من حروفهما ليعرف) (1) وذكر الخليل في العين ان النحت (اخذ كلمة من كلمتين متعاقبتين واشتقاق فعل منهما) ويقال ان الخليل اول من اكتشف النحت في اللغة . قال ابن مالك في التسهيل :(وقد يبنى من جزأي المركب فعلل).وتوسع اخرون في باب النحت فجعلواه مطردا فجوزا ان يقال :سبحر سبحرة اذا قال: سبحان ربي ومشأل مشألة اذا قال : ماشاء الله وجعل بعضهم (العبادلة) منحوتا من عبد الله .ومنعه اخرون كابي حيان وراى ان يقتصر فيه على ماقالته العرب فيكون سماعيا لاقياسيا عنده.وابتداء القران ب (بسم الله الرحمن الرحيم) فيه تأديب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولأمته من بعده أن يبدؤوا كل أفعالهم ببسم الله الرحمن الرحيم .وحث الشرع على التسمية في عدة مواضع منها الذبح وعند الوضوء والأكل والجماع وركوب الدابة والدخول والخروج من المنزل وعد بعض العلماء انه ينبغي البدء بها عند التأليف لان سليمان عليه السلام لما كتب كتابه الى بلقيس بدأه بالبسمله فقال :{إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } [النمل :30] إلى غير ذلك مما هو معلوم . ونظم الانصاري, وهومالكي من علماء المغرب العربي , المواضع التي تشرع فيها البسملة في منظومته (اليواقيت الثمينة) :

.....

(1) الكتاب (3 / 376)

تشرع في غسل وفي تيمم بسملة وفي الوضء فاعلم

وفي دخول وخروج مسجد ومنزل وفي الطواف اعتمد

وفي الخلا ووطئك المباح كذاك في الاطفاء للمصباح

والاكل والشرب ونوم وصعود لمنبر ووضع ميت بلحود

تغميضه كذا وغلق باب تلاوة ولبسة الثياب

ونزعها وفي الركوب مطلقا وفي الذكاة فرضت وتتقى

في فعل ما يكره او يمنع مثل الزنى كرها وليس تشرع

في الذكر والصلاة والنداء والحج والعمرة والدعاء

والتسمية سنة الأنبياء عليهم السلام قال الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام {وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } [هود :41] وسليمان عليه السلام عندما أرسل خطابه إلى ملكة سبا بدا بالبسملة {إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } [النمل :30] . وقال تعالى: {فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ } [الأنعام :118]وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفتتح رسائله وكتبه ببسم الله الرحمن الرحيم فقد اخرج البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كتب إلى هرقل بدأه (ببسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم) (1) . وسبب تخصيص (الرحمن الرحيم) بالتسمية يعني لم يقل بسم الله اللطيف المنان أو بسم الله العلي القدير قيل ليعرف عباده بعظم رحمته حتى يتقربوا ليه طمعا في رحمته الواسعة وفي البسملة إظهار افتقار العبد إلى الله تعالى واستمداد القوة منه وجلبها للبركة وطرد الشيطان ولجوء العبد إلى الله بها وإظهار المخالفة لغير المسلمين . (2).وممن توسع في الكلام على البسملة الشيخ أبو العرفان محمد بن علي الصبان رحمه الله (من علماء مصر) في كتاب اسماه (الرسالة الكبرى في البسملة) وكذلك المقدسي في كتابه (كتاب البسملة) والرازي في تفسيره فمن أراد التوسع فليرجع إليهم . سيأتي الكلام على (الرحمن الرحيم) فيما بعد إن شاء الله.

.....

((1) الحديث برقم (7) (2) لمزيد من المعلومات عن سبب اقتران الرحمن بالرحيم ينظر (منة الحليم المنان في اقتران ألفاظ القران , ص 117)

الآية (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .قال ابن فارس :(الحاء والميم والدال كلمة واحدة وأصل واحد يدل على خلاف الذم) (1)

تقرر في علم الأصول واللغة العربية أن (أل) إذا دخلت على اسم الجنس (كالحمد) فإنها تفيد الاستغراق أي جميع أنواع الحمد وصنوفه .وعلامة (ال) التي تفيد الاستغراق ان يصلح ان يحل محلها لفظ (كل) فيصلح ان يقال :كل الحمد لله. ونظيره في القران قوله تعالى :(إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ) (العصر :2) .وفي القران أمثلة كثيرة في هذا الباب منها قوله تعالى : { وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } [الشورى : 11] فأل الداخلة على (السَّمِيعُ) تدل على الاستغراق أي استغراق جميع ما يسمع فالله سبحانه وتعالى يسمع كل شيء. قال الشيخ ابن سعدي -رحمه الله- في منظومته الفقهية :

وأل تفيد الكل في العموم في الجمع والإفراد كالعليم
والنكرات في سياق النفي تعطي العموم أو سياق النهي
كذاك" من" و"ما" تفيدان معا كل العموم يا أخي فاسمعا
ومثله المفردات إذ يضاف فافهم هديت الرشد ما يضاف

قال عبد الله الشنقيطي في مراقي السعود مشيرا إلى صيغ العموم :

صيغة كل أو الجميع وقد تلا التي الذي الفروع
أين وحيثما ومن أي وما شرطا ووصلا وسؤالا افهما
متى قيل وبعض قيدا وما معرفا بال قد وجدا
أو بإضافة إلى معرف إذا تحقق الخصوص قد نفي
وفي سياق النفي منها يذكر إذا بني أو زيد من منكر
أو كان صيغة لها النفي لزم وغير ذا لدى القرافي لا يعم
وقيل بالظهور في العموم وهو مفاد الوضع لا اللزوم

وقال الشيخ محمد العثيمين – رحمه الله – في منظومته في اصول الفقه :

وان يضف جمع ومفرد يعم والشرط والموصول ذا له انحتم
من بعد نفي نهي استفهام شرط وفي الاثبات للإنعام (2)

قال الفقير لله كاتب هذه الأسطر :

.....

(1)معجم مقاييس اللغة (ص 262) (2) منظومة اصول الفقه وقواعده (ص 25)

دخول (أل)على الأجناس تفيد الكل بالقياس

كهي الله في القران عن الغلو في الأديان

ونهي الله في الكتاب عن التنابز بالألقاب

والنوع الآخر المعروف كقولنا الله هو الرؤوف

والنوع الثالث المتاح كمشكاة في مصباح المصباح

قال الفقير لله كاتب هذه الأسطر في صيغ العموم :

يا طالبا لفظ العموم هاك خمسا من الألفاظ ربنا رعاك

فأول الألفاظ منها " أل " فالله بالعمل عليم عز جل

والنكرات في سياق نهي أو نفي كنهي ربنا عن الشرك الخفي

والنفي في سياق النكرة كما نقول لا اله غير ه في السما

و" من " تعم في اللفظ كذلك كمن اشرك بالعبادة فهو هالك

و المفرد المضاف قد يعم كما تقول يوم العيد لا تصم

وآخر الألفاظ قالوا " ما " فالله مالك ما في ا لسما .

وبهذا هذا نعرف أن جميع أنواع الحمد لله سبحانه وتعالى مستحقا لها بجميع صنوفه .والزمخشري رحمه الله يرى أن (أل) في (الحمد) ليست للاستغراق , قال في الكشاف : (والاستغراق الذي توهمه كثير من الناس وهم منهم) (1). ذكر ابن تيمية رحمه الله أن الصحيح أن (أل) للاستغراق وليست للجنس كما قاله بعض المعتزلة وتأثر به بعض أهل السنة (2) ويبدو ان ابن تيمية يشير الى الزمخشري بقوله : (بعض المعتزلة) لانه – رحمه الله – عنده شيئ من الاعتزال وكان مجاهرا به.الحمد نقيض الذم و هو الثناء على الله سبحانه وتعالى بكل ما يستحق وقد نبه شيخنا ابن عثيمين رحمه الله إلى قيد مهم عند الكلام على تفسير الحمد وهو أن يكون الحمد (محبة وتعظيما للمحمود) حتى نفرق بين من يثني على الله لذاته ومن يثني على غيره طمعا في شيء كالشعراء الذين يمدحون أصحاب المال من اجل المال ثم ذكر الشيخ رحمه الله عن بعض أهل العلم الفرق بين المدح والحمد فقال : (لان مجرد وصفه بالكمال بدون محبة ولا تعظيم لا يسمى حمدا وإنما يسمى مدحا) (3) . ذكر الألوسي رحمه الله في تفسيره الفرق بين الحمد والمدح فأوصلها إلى ستة فذكر من احدها (أن الحمد يشترط صدوره عن علم لا ظن وان تكون من صفات كمال والمدح قد يكون عن ظن وبصفة

.....

(1) الكشاف (1 / 26) (2) انظر تفسير ابن تيمية (1 / 94) (3) تفسير جزء عم(ص12)

مستحسنة وان كان فيها نقص ما)(1).وذكر أيضا من الفروق (أن في الحمد من التعظيم والفخامة ما ليس في المدح وهو اخص بالعقلاء والعظماء وأكثر إطلاقا على الله تعالى)(2) .
وذكر ابن الجوزي رحمه الله الفرق بين الحمد والشكر في كتابه (نزهة الأعين والنواظر) فقال: (إلا أن بينهما فرقا وهو أن الحمد يقع على سبيل الابتداء وعلى سبيل الجزاء والشكر لا يكون إلا في مقابلة النعمة فكل شكر حمد وليس كل حمد شكرا)(3).ولم يفرق إمام المفسرين الطبري رحمه الله بين الحمد والشكر فجعلهما واحدا. والله تعالى محمود في السموات والارض ,قال تعالى : **{وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} [الروم : 18] وهو تعالى محمود في الدنيا والاخرة , قال تعالى:{وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ }** [القصص : 70] ومحمود على انعامه على عباده الصالحين بالجنة (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) (الزمر : 74) وهذا من كماله سبحانه وتعالى أن يكون محمودا في السماء والأرض والدنيا والاخرة .

(الحمد لله) " الحمد " مرفوع على الابتداء, " لله " جار ومجرور متعلق بمحذوف تقديره مستحق خبر (4).قال الأخفش الأوسط في (معاني القران) : " الحمد لله مرفوع على الابتداء " (5)وذكر الزجاج في معاني القران ان لغة النصب والجر لغة من لايلتفت اليه ولا يتشاغل بقراءته وقال :(ان الرفع احسن والغ في الثناء ..والقران لايقرا فيه الا بالرفع لان السنة تبع القران ولا يتلفت فيه الى غير الرواية الصحيحة) (6).وقد حكى القرطبي رحمه الله (إجماع القراء السبعة وجمهور الناس على رفع الدال من الحمد) (7) وهناك اوجه اخرى لاعراب (الحمد) .وحمد الله تعالى يكون بقدر ما يعرفه ذلك الحامد من صفات الله تعالى فكلما كان الحامد اعلم بالله كان حمده أكمل واصدق وكلما كان الحامد اقل معرفة بالله كان حمده ناقصا وابعد عن الصدق ولهذا حصر الله تعالى الخشية في العلماء لأنهم اعرف بالله تعالى وبصفاته وأسمائه ورحمته وعقابه . قال تعالى : {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء } [الروم : 28] . وما تجرأ أصحاب المعاصي على ارتكاب معاصيهم إلا لقلة علمهم بالله وعقابه الشديد ومقدرته<وحقيقة الحمد هي (كل فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعما) هكذا عرفها محمد الخجندي في كتابه (أوضح البرهان في تفسير أم القران) (8).والحمد يكون باللسان وبالقلب وبالجوارح والى هذا أشار الشاعر بقوله :

إفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا .

أراد ليس في يدي إلا خدمتكم ولا في لساني إلا شكركم ولا في قلبي إلا محبتكم فاليد تمثل الجوارح واللسان يمثل الكلام والضمير المحجب يمثل القلب . فالحمد بالجوارح يكون بالإتيان بأفعال تدل على أن الله تعالى موصوف بصفات الكمال والإجلال مثل الصلاة والحج وكل عبادة لا تتم إلا بمساعدة الجوارح فالصلاة والحج لا يتمان إلا بمساعدة الجوارح فعند الذهاب

(1) روح المعاني (ص 70) (2) روح المعاني (ص 70) (3) نزهة الأعين النواظر (ص 251) (4) ذكر ابن جني بعض القراءات الشاذة في الفاتحة في كتابه "المحتسب " وذكرها ابن خالوية في (القراءات الشاذة) (5) انظر (ص 155) (6) معاني القران (1 / 51) (7) تفسير القرطبي (ص 118) (8) تفسير الفاتحة (ص 100)

إلى المسجد نحتاج الرجلين وعند تكبيرة الاحترام نحتاج إلى اليدين وعند الرمي في الحج نحتاج اليدين كذلك وعند الذهاب إلى المشاعر نحتاج أعمال الجوارح وهكذا. والحمد باللسان يكون بذكر الله تعالى بألفاظ تدل على انه تعالى موصوف بصفات الكمال والإجلال مثل (سبحان الله) فالتسبيح معناه تنزيه الله عن جميع النقائص وهذا يستلزم صفات الكمال وإذا قلنا:(لا اله إلا الله) فمعناه لا معبود بحق إلا الله فلا يستحق العبادة إلا من كان كاملا في ذاته وصفاته وأسمائه وهو الله تعالى فلا يعتريه نقص بحال من الأحوال بخلاف إله المشركين الذين يعبدون صنما من خشب أو حجارة لا يضر ولا ينفع ولا يسمع الدعاء ولا يتكلم فهي ناقصة من كل وجه.والحمد بالقلب يكون بالاعتقاد اعتقادا جازما لا يخالطه شك بان الله موصوف بصفات الكمال والإجلال فمن اعتقد أن فلانا من الناس ينفع أو يضر كالأولياء الصالحين ينفع أو يضر أو يسمع الدعاء أو يحي أو يميت أو يرزق أو يشفي فما شكر الله حق شكره ولا وحمده حق حمده. وقد حمد الله تعالى نفسه في آيات كثيرة كقوله تعالى : {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ } [الأنعام :1]وقوله تعالى : { قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } [العنكبوت : 63]. ولكل نوع من أنواع المحامد سبب معين فالمريض إذا شفي يحمد الله على شفائه والعاري إذا كساه الله يحمد الله على كسائه والجائع إذا شبع حمد الله على إطعامه والظميان إذا شرب حمد الله على إروائه. فالله تعالى مستحق للحمد من كل وجه أكمله وأتمه في كل زمان ومكان في السموات وفي الأرض .وله تعالى إن يحمد نفسه كيف يشاء كما في قوله تعالى : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الفاتحة : 1].
ذكر ابن الجوزي ان الحمد تأتي في القران على خمسة اوجه:

أحدها: الثناء والمدح، ومنه قوله تعالى في آل عمران: {ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا)

والثاني: الأمر. ومنه قوله تعالى في بني إسرائيل: {يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده}

والثالث: المنة، ومنه قوله تعالى في الزمر: {وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده}.

والرابع: الشكر. ومنه قوله تعالى في الأنعام: {الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض}.

والخامس: الصلاة. ومنه قوله تعالى في الروم: {وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون} أراد الصلوات الخمس) (1)

الله : علم على الرب سبحانه وتعالى لا يسمى به غيره فهو مختص به عز وجل ويقال انه الاسم الأعظم . واللام في (لله) للاستحقاق أي المستحق لكل صنوف الحمد . وتأتي للملكية كقولك (الدار لزيد) بمعنى ملك لزيد.

رب : بالجر على البدلية من (لله) و الرب لا يطلق بالألف واللام إلا على الله سبحانه وتعالى لأنها (الألف واللام) للعهد الذهني بمعنى الرب المعهود في أذهاننا وهو الله تعالى . قال تعالى : {وَلاَ يَأْ مُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا } [آل عمران : 80] بمعنى

.....

(1) انظر نزهة الاعين النواظر (ص 252) بتصرف بسيط.

تتخذونهم آلهة تعبدونهم من دون الله . ويمكن أن يطلق على غيره مضافا كأن يقال رب الدار أي صاحبها . قال البيضاوي رحمه الله في تفسيره (الرب في الأصل مصدر بمعنى التربية

وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا) (1) . وذكر الراغب الأصفهاني نحوا من كلام البيضاوي في غرائب القران .ويطلق لفظ (رب) في اللغة على معان منها :

أولا : المالك المتصرف في ملكه المدبر ومنه قوله تعالى : { وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم } [النساء :] فسمى بنت الزوجة ربيبة لان الزوج يدبر شؤونها ومنه أيضا قول صفوان بن أمية يوم حنين (والله لأن يربني رجل من قريش خير من أن يربني رجل من هوازن) فقوله (يربني) أي يدبر شؤوني ويرعاني .

ثانيا : السيد ومنه قوله تعالى : {اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ } [يوسف :42] أي سيدك وفي الحديث عن علامات الساعة (أن تلد الأمة ربتها) أي سيدتها .

ثالثا : المصلح للشيء فيقال لمن أصلح شيئا قد ربه .

رابعا : المعبود ومنه قول الشاعر :

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

فكل هذه المعاني متحققة لله سبحانه وتعالى فهو المالك للكون المصلح له والمعبود بحق فالله تعالى رب كل شيء وخالقه والقادر عليه فلا يخرج عن سيطرته شيء وإذا أطلق لفظ

اللغة العربية على عدة ألفاظ فإننا نحدد المعنى المقصود من سياق الكلام وقرائن الأحوال , وقدمت هنا الإلوهية على الربوبية فقال سبحانه : {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [.الفاتحة : 1] قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله (تقديم وصف الله بالإلوهية على وصفه بالربوبية أما لان الله هو الاسم العلم الخص به والذي تتبعه جميع الأسماء وإما لان الذين جاءتهم الرسل ينكرون الإلوهية فقط) (2).قال ابن سعدي رحمه الله في تفسيره :(وتربية الله لخلقه نوعان : عامة وخاصة , فالعامة هي : خلقه للمخلوقين ورزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا والخاصة : تربيته لأوليائه فيربيهم بالإيمان ويوفقهم له ويكلمهم ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه وحقيقتها التوفيق لك خير والعصمة من كل شر) (3).وتربيته تعالى لعباده تربية كاملة , دائمة غير منقطعة فهي للروح والبدن إما تربيته تعالى للبدن فتبدأ منذ أن كان الطفل جنينا في بطن أمه لا حول له ولا قوة فرزقه الغذاء ثم كساه لحما ثم أخرجه طفلا فتبارك الله أحسن الخالقين ثم يسر الله له الأسباب الموجبة والضرورية لاستمرار حياته فانزل له الماء من السماء واخرج له النبات من الأرض وذلل له الدواب ويسر له كل شي على وجه الأرض .إما تربيته للروح فتتمثل في إرسال الرسل وإنزال الكتب المبينة للعبادات

.....

(1) انظر حاشية القونوي على تفسير البيضاوي (1 / 181 – 182) (2) تفسير جزء عم (ص 13) (3) تيسير الكريم الرحمن (ص 22)

والعقائد فتسمو روحه عن روح باقي المخلوقات .وتربيته تعالى للعالمين ليس لجلب منفعة أو دفع مضرة وإنما اقتضتها عموم رحمته وشمول إحسانه فهو عز وجل غني عن العالمين { وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } [آل عمران : 97] . والربوبية نوعان : عامة وخاصة وقد اجتمعا في قوله تعالى: { قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ } [الأعراف : 121 / 122] فالربوبية العامة تشمل جميع الخلائق من جن وانس وجماد .....الخ وتعني الربوبية العامة أنه تعالى المنفرد بخلقهم ورزقهم وتدبير شؤونهم . والربوبية الخاصة تكون لأوليائه الصالحين وتعني توفيقهم للخير وحفظهم من الآثام . ومتى أطلق لفظ (الرب) قصد به الربوبية العامة الشاملة لجميع الخلق ومنه قوله تعالى{ :رِبِّ الْعَالَمِينَ } [الفاتحة : 1] وقوله : { وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ } [الأنعام : 164]وإذا قيدت بنبي أو إتباعه قصد بها الربوبية الخاصة ومنه قوله تعالى : {رَبِّ مُوسَى وَهَارون} [:الاعراف 121] . فربوبيته تعالى لموسى وهارون ربوبية خاصة ليست كربوبيته تعالى لفرعون وهامان ولفرق بينهما أن ربوبيته لموسى وهارون فيها توفيق لهما إلى الطريق الصحيح وهذا ما يميز الربوبية الخاصة عن العامة .

ونظير هذا أنواع العبودية الثلاثة :

عبودية عامة شاملة لجميع الخلق ومنه قوله تعالى: {إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا } . [مريم : 93].

عبودية خاصة بالمؤمنين ومنه قوله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا [الفرقان : 63] .وعبودية خاصة بالرسل ومنه قوله تعالى في الإسراء: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً } .[الإسراء : 1] وهذا فيه إشارة إلى كمال عبودية الرسول صلى الله عليه وسلم فقد عبد الله تعالى حق عبادته عليه الصلاة والسلام.

وقوله : {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ }. [الكهف : 1].

العالمين : كل موجود سوى الله سبحانه وتعالى فهو شامل لكل مخلوق وموجود يدل لهذا قوله تعالى عن فرعون :(قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ* قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) (الشعراء : 24) فالإنس عالم والجن عالم والملائكة عالم وقد توجد عوالم اخرى لانعرفها .والاية تدل على ان كل شيء مربوب لله تعالى وهذا من كمال ربوبيته والوهيته فهو وحده المستحق للعبادة دون سواه .والعالم مشتق من العلامة لأنه يدل على وجود الخالق.نقل ابن الجوزي رحمه الله عن بعض العلماء " أن العالمين" تأتي في القران على ستة أوجه :

1- كل ذي روح ومنه قوله تعالى : { الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الفاتحة : 1]

2- المؤمنون ومنه قوله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [الأنبياء : 107]

3- عالمو أزمانهم ومنه قوله تعالى : {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } [البقرة : 47]

4- الأضياف ومنه قوله تعالى : { قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ } [الحجر :70]

5- جميع أولاد بني ادم ومنه قوله تعالى: {وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ } [الأنبياء : 71].

6- بعض أولاد ادم ومنه قوله تعالى : { سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ } [الصافات : 79] أي ثناء عليه بعده إلى يوم القيامة .(1)

يستفاد من الآية : أولا : أن جميع أنواع المحامد لله سبحانه وتعالى .

ثانيا : عموم ربوبية الله تعالى للعالمين لدخول (أل) على العالمين المفيدة للاستغراق كما تقدم ويتضمن قوله تعالى: {رَبِّ الْعَالَمِينَ } عدة أمور :

أولا : حمل العباد على الإقرار بوجود الله تعالى لان الخلق يدل على وجود خالق فكل شي موجود كالسموات والأرض والبحار والأنهار والنبات والحيوان لابد له من موجد وقد قال الأعرابي بفطرته السليمة لما سئل عن دليل وجود الله **(البعرة تدل على البعير .. والأثر يدل على المسير .. فسماء ذات أبراج .. وأرض ذات فجاج .. ألا تدل على العليم الخبير..) وحتى العرب في جاهليتهم كانوا يقرون بوجود الله تعالى .**

قال لبيد بن ربيعة : ألا كل شيء ماخلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل .

قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في مسلم :(اصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد . وكاد امية ابن ابي الصلت ان يسلم) (2) .وقال آخر:

فيا عجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة وتسكينة أبدا شاهد

وفي كل شي له آية تدل على انه واحد

وكان قس بن ساعدة في الجاهلية يذهب إلى السوق ويخاطب الناس بقوله **"أيها الناس .. اسمعوا وعوا .. من عاش مات .. ومن مات فات .. وكل ما هو آت آت .. ليل داج .. ونهار ساج .. وأرض ذات فجاج .. وسماء ذات أبراج .. ونجوم تزهر .. وبحار تزخر .. أفلا يدل ذلك على الله الواحد القهار؟"..!** ويروى عن أبي حنيفة رحمه الله قصة طريفة مع احد الملحدين وهي تدل على ذكائه وسعة علمه رحمه الله فقد قال احد المنكرين لوجود الله لأبي حنيفة - رحمه الله - محاولا إفحام أبي حنيفة وإقناعه بعدم وجود الله ذكرها في معارج القبول قال :(عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى فقال لهم دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه ذكروا لى سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتي تخلص منها وتسير حيث شائت بنفسها من غير أن يسوقها أحد فقالوا هذا شيء لا يقوله عاقل فقال ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع فبهت القوم ورجعوا إلي الحق واسلموا علي يديه) (3)

(1) نزهة الأعين النواظر (ص 445 / 446) (2) برقم (2256) (3) (1 / 78)

ومن العلماء الأفاضل الذين تصدوا للفكر الإلحادي وبيان بطلانه والرد عليهم الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في كتابه (الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين) وفي كتابه (الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي). وقبله كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه فقد بين بطلان مذهب الإلحاد ورد على الملاحدة بالعقل والنقل وبين أن العقل السليم لايخالف الدين في كتابه (درء تعارض العقل والنقل) او (بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول) او(الجمع بين العقل وا لنقل). قال ابن القيم مادحا كتاب شيخه :

واقرا كتاب العقل والنقل الذي مافي الوجود له نظير ثاني

ومن العجائب انه بسلاحهم ارداهم تحت الحضيض الداني

وممن ألف في كيفية دعوة الملحدين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة د. سعيد بن علي القحطاني. قال ابن سعدي – رحمه الله – في منظومته في العقيدة والاخلاق المسماه منظومة (منهج الحق)

1- تَفَكَّرْ بِآثَارِ العَظِيمِ وَمَا حَوَتْ مَمَالِكُهُ العُظْمَى لَعَلَّكَ تَرْشُدُ

2- أَلَمْ تَرَ هٰذَا اللَّيْلَ إِذْ جَاءَ مُظْلِمًا فَأَعْقَبَهُ جَيْشٌ مِنَ الصُّبْحِ يَطْرُدُ

3- تَأَمَّلْ بِأَرْجَاءِ السَّمَاءِ جَمِيعِهَا كَوَاكِبُهَا وَ قَّادَةٌ تَتَرَدَّدُ

4- أَلَيْسَ لِهَذَا مُحدِثٌ مُتَصَـرِّفٌ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَاحِدٌ مُتَفَرِّدُ

5- بَلَى وَالَّذِي بِالحقِّ أَتْقَنَ صُنْعَهَا وَأَوْدَعَهَا الأَسْرَارَ للهِ تَشْهَدُ

6- وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِـمَنْ كَانَ مُوقِنًا وَمَا تَنْفَعُ الْآيَاتُ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ

7- وَفِي النَّفْسِ آيَاتٌ وَ فِيهَا عَجَائِبٌ بِهَا يُعْرَفُ اللهُ العَظِيمُ وَ يُعْبَدُ

8- لَقَدْ قَامَتِ الْآيَاتُ تَشْهَدُ أَنَّهُ إِلَهٌ عَظِيمٌ فَضْلُهُ لَيْسَ يَنْفَدُ

ثانيا : بيان أن العالم مفتقر إلى الله في إيجاده ثم في استمراره وان الله غني عنهم كما قال تعالى في سورة العنكبوت : { إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } [العنكبوت :6] قال تعالى :(وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا* وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً) (النساء :131 – 132) .فقد كرر تعالى في هذه الاية والتي بعدها ان له تعالى مافي السموات ومافي الارض لتنبيه العباد على انه تعالى المالك الحقيقي لكل مافي السموات والارض فهو غني عن العالمين وهذا احد الوجهين في تفسير الايتين.وذكر القرطبي والطبري وجها اخر.واخرج مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه جل وعلا (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم

محرما فلا تظالموا يا عبادي ، كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي ، إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني , يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي إنما هي

أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) .(1)

ثالثا : بيان عظمة الله لخلقه العوالم جميعا فان كلمة (العالمين) تشمل جميع العوالم كما تقدم من انس وجن وملائكة وحيوان وطير وبحار ..... الخ وهي عوالم لا تعد ولا تحصى فالبشر يعلمون شيئا منها ويجهلون الكثير وربما يكشف العلم الحديث بعضا منها في المستقبل .
ويتضمن قوله تعالى (رب العالمين) تحدي البشر أن يخلفوا كخلق الله. ويشرع قول (الحمد لله) في مواضع كثيرة منها بعد الأكل وعند الاستيقاظ من النوم وعند الاستواء على الدابة وبعد العطاس وعند رؤية مبتلى وغيره . وقد توسع الشيخ وليد بن عيسى السعدون في شرح (الحمد) فالف مجلدا كاملا اسماه (الحمد على ضوء الكتاب والسنة واقوال السلف الصالح).

(الرحمن الرحيم)

لما كان القران مثاني ذكر الله سبحانه وتعالى اتصافه بالرحمن والرحيم بعد وصفه نفسه برب العالمين لأنه لما كان الوصف بالرب فيه ترهيب للنفوس ذكر بعد الترهيب ترغيبا بوصفه الرحمن الرحيم حتى يعبده الخلق ترغيبا وترهيبا وهذا فيه من التوازن بين الترغيب والترهيب ما هو واضح حتى لا يحصل قنوط من رحمته ولا امن من عقابه فيجب على المسلم أن يعيش بين الرجاء والخوف قال الإمام احمد رحمه الله : (يجب علينا أن نكون بين الخوف والرجاء فأيهما غلب هلك صاحبه). فمن الأسباب الباعثة على الخوف التفكر في الآخرة وأهوالها والحساب والعقاب وأحوال الموت وعذاب القبر وكونه تعالى شديد العقاب وتدبر كلام الله تعالى أيضا من بواعث الخوف . ومن الأسباب الباعثة على الرجاء تذكر الجنة ونعيمها وانه تعالى غفور رحيم فيجب أن نعيش بين هذا وذاك وقد جمعت الآية الكريمة {نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ } [الحجر: 49 / 50] التوسط بين الخوف والرجاء وجعل الله تعالى الملائكة والأنبياء في درجة من يخاف عذابه ويرجو رحمته فقال تعالى: { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } [الإسراء : 57]. فالخوف والرجاء من منازل العبودية

.....

(1) الحديث برقم (2577)

وهما من العبادات القلبية التي لانصرف إلا لله تعالى . ذكر بعض أهل لعلم أن الخوف والرجاء كجناحي الطائر متعاضدان فالمسلم يرجو رحمة الله وفي ذات الوقت يخاف عقابه . وفصل بعض العلماء فقال : (في حال الصحة يجعل خوفه ورجاءه واحد وفي حال المرض يغلب جانب الرجاء) وممن رأى هذا الرأي الأخير النووي رحمه الله في كتابه (رياض الصالحين) بعد سوقه بعض الآيات والأحاديث في هذا الباب .والباب في هذا واسع فهو (باب الخوف والرجاء) قابل لأكثر من وجه ولكن ينبغي للإنسان أن يعرف ماذا يناسبه فمن كان متساهلا في ارتكاب المعاصي ناسبه أن يغلب جانب الخوف لعله يرتدع ومن كان متنطعا ناسبه تغليب الرجاء لعله يرعوي .وقد توسع الغزالي رحمه الله في الأحياء في الكلام على الخوف والرجاء وعقد له كتابا. وبوب له البخاري رحمه الله في صحيحه (باب الرجاء مع الخوف)

سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن مذهب اهل السنة والجماعة في الخوف والرجاء , فأجاب:

(اختلف العلماء هل يقدم الإنسان الرجاء أو يقدم الخوف على أقوال: فقال الإمام أحمد –رحمه الله-: "ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحداً، فلا يغلب الخوف ولا يغلب الرجاء" . قال –رحمه الله-: "فأ يهما غلب هلك صاحبه" . لأنه إن غلب الرجاء وقع الإنسان في الأمن من مكر الله، وإن غلب الخوف وقع في القنوط من رحمة الله .وقال بعض العلماء: ((ينبغي تغليب الرجاء عند فعل الطاعة وتغليب الخوف عند إرادة المعصية))، لأنه إذا فعل الطاعة فقد أتى بموجب حسن الظن، فينبغي أن يغلب الرجاء وهو القبول، وإذا هم بالمعصية أن يغلب الخوف لئلا يقع في المعصية. وقال آخرون: (ينبغي للصحيح أن يغلب جانب الخوف وللمريض أن يغلب جانب الرجاء) لأن الصحيح إذا غلب جانب الخوف تجنب المعصية، والمريض إذا غلب جانب الرجاء لقي الله وهو يحسن الظن به .والذي عندي في هذه المسألة أن هذا يختلف باختلاف الأحوال، وأنه إذا خاف إذا غلب جانب الخوف أن يقنط من رحمة الله وجب عليه ان يرد ويقابل ذلك

بجانب الرجاء، وإذا خاف إذا غلب جانب الرجاء أن يأمن مكر الله فليرد ويغلب جانب الخوف، والإنسان في الحقيقة طبيب نفسه إذا كان قلبه حيا، أما صاحب القلب الميت الذي لا يعالج قلبه ولا ينظر أحوال قلبه فهذا لا يهمه الأمر .) (1)

والرحمن لا يطلق إلا على الله سبحانه وتعالى . قال الله تعالى: { قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى } [الإسراء :110]. فجعل الرحمن معادلا لله الذي لا يشاركه فيه احد . أما قول بعض شعراء بني حنيفة في مسيلمة الكذاب :

سموت بالمجد يا ا بن الأكرمين أبا وأنت غيث الورى لازلت رحمانا

فهذا تعنت وكفر منهم و كان أيام ردة أهل اليمامة , فلم يتجرأ أحد على نعت نفسه (بالرحمن) إلا مسيلمة فقد وصف نفسه (برحمن اليمامة) فعاقبه الله بنقيض قصده فلا يعرف إلا بمسيلمة الكذاب. وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم كذاب . اخرج الحاكم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :(انا بعد فقد اكثرتم في شان مسيلمة وانه كذاب من جملة ثلاثين كذابا يخرجون قبل الدجال)(2) قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وهذان اللفظان (الرحمن الرحيم) إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا بمعنى إذا ذكر احدهما شمل الآخر وإذا ذكر جميعا أصبح لكل لفظ معنى مختلف . فإذا اجتمعا أصبح معنى الرحمن اشمل من الرحيم لأنه (الرحمن) يشمل الرحمة بجميع الخلائق , المسلم ,والكافر البر والفاجر أما رحيم فهي خاصة بالمؤمنين وربما يدل على هذا التفريق أن اسم (الرحيم) لا يرد غالبا إلا في سياق الكلام عن المؤمنين الطائعين أو التائبين النادمين قال تعالى : {فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة :160].

.....

(1) فتاوى اركان الاسلام (ص 58) (2) المستدرك (8704)

[البقرة :160]. وقال تعالى : {أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [البقرة :218]. وقال تعالى : {فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }[البقرة : 192]. ومن علماء اللغة من لم يفرق بين الرحمن والرحيم كا لجوهري فجعلهما واحدا ومن علماء التفسير أيضا من لم يفرق بينهما كشيخ المفسرين الطبري ولكن الأغلب على التفريق. واعتبرهما البخاري في صحيحه بمعنى واحد كالعالم والعليم (1) وخالفه بان حجر في الفتح فقال :(والتحقيق ان جهة المبالغة فيهما مختلفة)(2)

(الرحمن الرحيم) الرحمن فعلان صيغة مبالغة من الرحمة وهي اشد مبالغة من الرحيم كما تقرر أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ففعلان تدل على الامتلاء كغضبان للمليء غضبا .والرحيم جاء بصيغة المبالغة أيضا فعيل الدال على كثرة الرحمة ككريم الدال على كثرة الكرم وقد عرف أهل اللغة أن صيغة المبالغة تشتق من الأفعال للدلالة على الفاعل بقصد المبالغة . وقد عرف بعض العلماء (الرحمة) بأنها رقة في القلب وهذا في حق المخلوقين أما في حق الله فنجريها مجرى باقي الصفات على مذهب أهل السنة والجماعة فهي رحمة تليق بالله تعالى بدون تحريف أو تشبيه وكذلك يقال في باقي الأسماء والصفات . ولا يفهم من هذا إن صفات الله تتأرجح بين القوة والضعف ولا يفهم أيضا إن الصفة تأتيه مرة قليلة ومرة كثيرة ولكنها صفات الكمال المطلق .

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله في سلم الوصول إلى علم الأصول :

وكل ماله من الصفات	أثبتها في محكم الآيات
أو صح فيما قاله الرسول	فحقه التسليم و القبول
نمرها صريحة كما أتت	مع اعتقادنا لما اقتضت
من غير تحريف ولا تعطيل	وغير تكييف و لا تمثيل
بل قولنا قول أئمة الهدى	طوبى لمن بهديهم قد اقتدى
وسم ذا النوع من التوحيد	توحيد إثبات بلا ترديد

.....

(1) انظر صحيح البخاري, تفسير سورة الفاتحة (2) الفتح (9 /5074)

ومن صور رحمة الله بعباده أن أنبت لهم من الأرض الجدباء طعاما نأكله قال تعالى في سورة الروم : {فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } .[الروم :50]. ومن صور رحمة الله أيضا أن جعل الليل لنا سكنا نرتاح فيه بعد عناء ومشقة اليوم ونكتسب قوت يومنا . قال تعالى : { وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [القصص: 73]. ومن رحمته أيضا إرسال الرسل وتنزيل القران وغيرها كثير لا نستطيع عدها كما قال تعالى : { وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا } [النحل : 18].

ورحمة الله تعالى نوعان : عامة وخاصة فالرحمة العامة تشمل جميع الخلق المسلم والكافر وجميع ما خلق الله تعالى في هذا الكون ومن رحمته بالكافرين عدم استعجال العقوبة لهم . أما الرحمة الخاصة فهي للمؤمنين فقط ومنه قوله تعالى :{وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا } [الأحزاب:43]. ولا ينفي هذا أن تكون صفة الرحمة موجودة عند البشر بل وحتى الحيوانات المفترسة على صغارها ففي الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى } (1).فقوله صلى الله عليه وسلم (وتراحمهم) فيه إشارة واضحة إلى وجود أصل الرحمة عند البشر وفيه كذلك الدعوة إلى التراحم بين المسلمين . وكان النبي صلى الله عليه وسم يضرب به المثل في الرحمة ومن صورة رحمته ما روته عائشة رضي الله عنها (أن الله تعالى بعث ملك الجبال فقال للنبي صلى الله عليه وسلم إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين . فقال صلى الله عليه وسل بل إني أرجو من الله أن يخرج من أصلبهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا) (2). وقد تحقق ذلك فأسلم عكرمة بن أبي جهل وغيره ومن صور رحمته أيضا لما جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن يدعو على دوس لأنهم عصوا النبي صلى الله عليه وسلم قال (اللهم أهد دوسا وات بهم) (3) , فدعا لهم ولم يدع عليهم وهذا من رحمته عليه الصلاة والسلام .
قال الحافظ زين الدين العراقي في نظم الدرر السنية في السيرة الزكية :

وقيل له يدعو على الكفار دوس وغيرهم من الفجار

فقال :انما بعثت رحمة وليس لعانا نبي الرحمة

ولم تقتصر رحمته صلى الله عليه وسلم بالبشر بل تعدت رحمته للحيوان وهذا يدل على شمول الدين الإسلامي ويرد على من قال أن الإسلام غير شامل أو لا يصلح لكل زمان ومكان فلم يسبقنا الغرب بالرفق بالحيوان ولا غيره وما يحصل من تقصير من بعض المسلمين فانه خطا من ذلك الشخص وليس من الإسلام . وممن توسع في ذكر رحمة النبي صلى الله عليه

.....

(1) الحديث برقم (2586) واللفظ لمسلم (2) أخرجه مسلم برقم (1795)

(3) أخرجه البخاري برقم (2937)

وسلم (السندي) في كتابه (الأربعون في الشفقة والرحمة) فذكر جملة من رحمة النبي صلى الله عليه وسلم الحيوان والصبيان والفقراء والجائع وغيرهم .

ومن تراجم البخاري-رحمه الله -في صحيحه باب (الرفق بالأمر كله) .وهناك صفات لا تختص بالله سبحانه وتعالى بل يمكن أن تطلق على البشر مثل السمع والبصر قال تعالى : {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } [الإنسان : 3] ولكن ينبغي التنبيه هنا إلى وجود فرق بين صفات الله تعالى وصفات البشر فسمعه تعالى ليس كسمع البشر وبصره ليس كبصر البشر وعلى هذا فقس قال تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } [الشورى: 11] فالله تعالى ليس له شبيه ولا نظير في أسمائه أو صفاته أو ذاته . وقد ذكر سبحانه وتعالى في سورة الرحمن شمول رحمته منها خلق الإنسان ورفع السماء وأنواعا أخرى من رحمته تعالى . وطريق الحصول على رحمة الله هو الالتزام بدينه تعالى وتقواه يدل لهذا قوله تعالى: {وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } [الأعراف : 156] فالضمير في قوله تعالى : {فَسَأَكْتُبُهَا } يعود على آخر مذكور وهو (رحمتي) ولا ينفي هذا أن رحمة الله العامة تشمل جميع المخلوقات فالرحمة هنا من نوع خاص بالمتقين

{ مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ }: بين تعالى لمراد بيوم الدين في موضع اخر من القران وهو قوله عز وجل :(وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) (17 – 18 – 19 : الانفطار)وقوله تعالى :(وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ* هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) (20 – 21 :الصافات) ويوم الدين هو يوم القيامة الذي يكون فيه الحساب والجزاء .وجاء في قراءة سبعية أخرى (ملك) .

قال الزمزمي رحمه الله في منظومة التفسير

وعقد الحاكم في المستدرك بابا لها حيث قرا ب(ملك)

اخرج الحاكم في المستدرك عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ : { مَلكَ يَوْمِ الدِّينِ}(1) .وفي المستدرك : قال ابن ابي مليكة : وكانت ام سلمة تقراهها {مَلكَ يَوْمِ الدِّينِ} وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وله شاهد باسناد صحيح على شرطهما عن ابي هريرة. (2). قال بعض العلماء الأفضل أن تقرأ (مالك) لأن فيها زيادة حرف فتحصل على عشر حسنات زيادة في مقابل الحرف الزائد لأن كل حرف فيه عشر حسنات .وهذا محض اجتهاد ممن قال بهذا القول . لكن الأفضل كما يقول شيخنا محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله - : أن تقرأ بهذا مرة وبهذا مرة لان هذا اكثر شمولا في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ولاجل عدم نسيان القراءات الثابتة وحضور القلب وعدم سآمته وكذلك العمل بالشريعة على جميع

.....

(1)المستدرك (2946) (2) مستدرك الحاكم (2945)

الوجوه . وهذه قاعدة مفيدة في أي عبادة وردت على أكثر من وجه (1) . والملك هو صاحب الملك المتصرف فيه كيف يشاء سبحانه وتعالى مالك كل شي كما قال تعالى: { وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا } [المائدة :17] ولا ينبغي أن يقرأ شخص قراءة غير التي عهدها العوام حتى لا يحصل تشويش على أذهانهم .وذكر ابن خالويه عن اهل النحو انهم قالوا ان ملكا امدح من مالك لان المالك قد يكون من غير ملك ولايكون الملك الا مالكا . وأشار شيخنا ابن عثيمين رحمه الله إلى فائدة عظيمة في الجمع بين القراءتين وهي (أن ملكه جل وعلا ملك حقيقي لأن من الخلق من يكون ملكا ولكن ليس بمالك يسمى ملكا اسما ليس له من التدبير شيء ومن الناس من يكون مالكا ولا يكون ملكا كعامة الناس ولكن الرب جل وعلا مالك الملك) (2). أشار القرطبي رحمه الله إلى احد الفروق بين ملك ومالك حيث قال (إذا قيل (ملك) كان ذلك من صفات ذاته وإذا قيل (مالك) كان ذلك من صفات فعله) (3) . فان قيل كيف يكون الله تعالى مالكا ليوم الدين ولم يأت بعد ؟ فالجواب ان القران كما هو معروف نزل بلغة العرب وهذا الأسلوب يستقيم في اللغة العربية فمالك اسم فاعل والعرب تجري مجرى الفعل المستقبل فإذا قيل زيد زائر أخاه غدا أي سيزور أخاه فينسب إليه الفعل وهو لم يفعله وذلك باعتبار ما سيكون .وهناك إشكالية أخرى :وهي كيف يخص الله تعالى ملكه بيوم الدين وهو ملك غيره ؟ قال القرطبي رحمه الله في تفسيره :(لأن في الدنيا كانوا منازعين في الملك مثل فرعون ونمرود وغيرهما وفي ذلك اليوم لا ينازعه احد في ملكه ولكنهم خضعوا له كما قال تعالى: { لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ } فأجاب جميع الخلق {لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّار} (4).وتجاب البغوي لان كل الاملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا امر الا له تعالى . وأجاب الاقليشي رحمه الله عن ذلك بجواب آخر فقال: (إن يوم الدين هو اليوم العظيم فإذا كان الله تعالى ملك ذلك اليوم العظيم ومالكه فأحرى أن يكون ما سوى ذلك مملوكا له وفي قبضته) (5) وقال الزجاج : " وإنما خص يوم الدين , والله عز وجل يملك كل شيء , لأنه اليوم الذي يضطر فيه المخلوقون الى أن يعرفوا أن الأمر كله لله " (6) وقال اخرون :ان الله ملك اناسا الدنيا فنسب الملك اليهم لا على سبيل الحقيقة . ومن صور كونه ملكا سبحانه وتعالى أنه يحي ويميت ويغني ويفقر ويرزق من يشاء إناثا ويرزق من يشاء الذكور ويستطيع أن يستبدل هذا الكون قال تعالى : {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ } [إبراهيم : 19] ومن كمال كونه ملكا انه يعلم كل شيء يحصل في ملكه قال تعالى : {وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا } ويتفرع عن هذا انه لا يدعى إلا الله سبحانه وتعالى وان دعاء غيره لا يجلب نفعا ولا ضرا لأنه دعاء من لا يملك شيئا

(الدين): الجزاء تقول العرب دنت فلانا بما صنع أي جازيته . ذكر بعض المفسرين أن (الدين) يأتي في القران على عشرة أوجه :

1-الإسلام ومنه قوله تعالى في براءة : {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ}

.....

(1) الشرح الممتع (2 / 65) (2) تفسير جزء عم (ص 14) (3) تفسير القرطبي (1 / 124) (4) تفسير القرطبي (1 / 124) (5) تفسير الفاتحة (ص 194) (6) تهذيب معاني القران واعرابه (ص 25)

2-التوحيد ومنه قوله تعالى في يونس : {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ }

3-الحساب ومنه قوله تعالى في النور: { يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ }

4-الجزاء ومنه قوله تعالى : {هَذَا يَوْمُ الدِّينِ }

5-الحكم ومنه قوله تعالى في قصة يوسف :{مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ }

6-الطاعة ومنه قوله تعالى في التوبة : {وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ }

7--العادة ومنه قوله تعالى في الحجرات {:أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ }

8-الملة ومنه قوله تعالى في [لم يكن] :{ ذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }

9-الحدود ومنه قوله تعالى النور : { وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ}

10-العدد ومنه قوله تعالى التوبة : {مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ } أي العدد الصحيح(1)

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } : (إيا) ضمير نصب منفصل لتعذر الاتصال كما عقده في الخلاصة : وذو انتصاب في انفصال جعلا * إياي و التفريع ليس مشكلا .

: وقوله تعالى : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } انتقال من الغيبة إلى الحضور وهذا من الأساليب البلاغية في اللغة العربية ويسمى (التفات) وفي هذا الأسلوب تنشيط للسامع وجذب لاهتمامه وفيه معنى الإقبال على الله سبحانه وتعالى والقرب منه. فكان العبد بعدما اثني على الله بما هو أهله ومجده أصبح قريبا منه يخاطبه ويستشعر معنى العبادة بالقرب منه تعالى كما جاء في الحديث (أن تعبد الله كأنك تراه فانك إلا تراه فانه يراك) رواه مسلم عن عمر رضي الله عنه .(2). قال ابن كثير - رحمه الله -في تفسيره: (وتحول الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الحطاب هو المناسب لأنه لما أثنى على الله فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله فلهذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين) (3) . وقال الاقليشي رحمه الله في تفسيره للفاتحة تعليقا على الالتفات في هذه الآية : (لأن الكلام مهما لزم طرائق مختلفة كان ابلغ واعمل في النفوس وأعظم والقران نزل بأفصح لغات العرب) (4) .ومن فوائد الالتفات في هذه الآية الكريمة أن ما قبلها ثناء والثناء في الغيبة أولى وما بعد هذه الآية دعاء والدعاء في الحضور أقوى .وقد اشار الى هذه الفائدة الأخيرة الرازي في تفسيره . ومن فوائده حمل المخاطب على التفكير . ومن فوائد (الالتفات) دفع الملل عن القارئ لأن الكلام على وتيرة واحد ربما يؤدي إلى الملل . ونظير هذا قولنا في التشهد : (السلام عليك أيها النبي) بصيغة الخطاب مع أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس حاضرا أمامنا فلشدة استحضارنا له عليه الصلاة والسلام جعلتنا نخاطبه وكأنه نراه أمامنا. ومن النكت ان الالتفات جاء بعد ذكر يوم الدين المشعر بالحساب فناسب اللجوء لله.

.....

(1) انظر نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (ص 297 / 298) (2) الحديث برقم (9) (3) تفسير ابن كثير (1 / 23) (4) انظر (ص 220)

قوله تعالى :{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } عطف جملة فعلية على أخرى فعلية , إياك معمول لنعبد وإياك الثانية معمول لنستعين وقد تقرر في علم الأصول واللغة العربية أن تقديم المعمول يفيد الحصر والمعنى لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك دون غيرك ففيها اثبات العبادة لله وحه ونفيها عما سواه تعالى . ونظيره قوله تعالى : {وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ } [البقرة :40] أي ارهبوني دون غيري . قال العبد الفقير لله تعالى كاتب هذه الأسطر :

تقديم معمول يفيد حصرا كقولك الدرس حضرت عصرا .

والحصر هو (اثيات الحكم للمذكور ونفيه عما سواه) فالمعنى لا نعبد إلا أنت يا ربنا ولا نستعين إلا بك دون غيرك فالعبادة محصورة له والاستعانة محصورة به لا تتعدى إلى غيره وهذا من كمال الطاعة وكذلك قدم المعمول للاهتمام فمن أساليب اللغة العربية تقديم الأهم وأيضا لئلا يتقدم ذكر العبد على المعبود ومنه قوله تعالى :{رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } [الممتحنة :4] فلا نتوكل إلاعليك ولا ننيب إلا إليك والمصير إليك وحدك ونظيره من السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم في دعوات المكروب :(اللهم رحمتك ارجو) (1) بتقديم المعمول على العامل لافادة الحصر والمعنى ارجو رحمتك يارب لاغيرها .ومنه قول الشاعر :

إلىالله أشـــكو لا إلى النـــاس إننـــي أرى الأرض تطوى والأخلاء تذهب .

فقدم لفظ الجلالة للإشارة إلى انه يشتكي إلى الله وحده دون غيره بقصد إفادة الحصر .

ويذكر أن أعرابيا سب رجلا فلم يلتفت إليه فقال له الأعرابي (إياك اعني) فرد عليه (وعنك اعرض).

وإطلاق اسم العبد يشمل معنيين :

1-العابد كرها ومنه قوله تعالى : {إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا } [مريم :93] فهذه العبودية تشمل كل شي .

2-العابد طوعا ومنه قوله تعالى : {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا } [الفرقان :63] وهذه العبودية خاصة بفئة معينة من الناس فلا تشمل الجميع .

و تأمل قوله (نَعْبُدُ , و نَسْتَعِينُ) جاءتا بصيغة المضارع المفيد للاستمرارية بمعنى أننا نعبدك ونستعين بك باستمرار في كل مكان وزمان وهذا من بلاغة القران الكريم لأنه تقرر في لغة العرب أن الفعل المضارع يفيد الاستمرار .عرف العلماء العبادة بأنها (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة) فالظاهرة مثل الصلاة والزكاة والحج والباطنة مثل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله. وعرفت العبادة بتعاريف اخرى والخلاف في التعريف خلاف تنوع وليس خلاف تضاد فالخلاف لفظي . والعبادة هي الغاية من خلق الخلق قال تعالى : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [ا لذاريات : 56].

(1) الحديث عند البخاري في الادب المفرد برقم (701) وابي داوود برقم (5081)

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله في سلم الوصول إلى على الأصول :

ثم العبادة هي اسم جامع لكل ما يرضى الإله السامع

والعبادة تطلق على معنيين اثنين :

1- فعل التعبد فتكون بالمعنى اللغوي وهو التذلل لله تعالى.

2- المتعبد به فتكون بالمعنى الاصطلاحي ومنها أنواع كثيرة كالصلاة والصيام والصوم والحج والصدقة وغيره من أنواع العبادة التي لا تحصى.

قال ابن تيمية – رحمه الله - :(من اراد السعا دة الابدية فليزم عتبة العبودية)

واشترط العلماء لقبول العمل شرطين : هما الإخلاص والمتابعة فالإخلاص معناه أن يكون العمل خالصا لله تعالى لا يشوبه رياء أو نفاق ودليله قوله تعالى: { فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ } [الزمر :2] . والمتابعة أن يكون العمل موافقا لسنة النبي صلى الله عليه وسلم فلا نبتدع في دين الله ما لم يشرع ودليله قوله صلى الله عليه وسلم : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) (1) .أي مردود على صاحبه وغير مقبول وهذا الحديث أصل من أصول الدين وبه ترد جميع البدع التي أحدثت وليس لها أصل من الدين لان أمور التعبد توقيفه بمعنى أننا نتوقف فيها على ما تعبد نا الله به وشرعه لنا فقط دون زيادة أو نقص. فلا بد من اجتماع الإخلاص والمتابعة معا فلا تصح عبادة بإخلاص دون متابعة أو متابعة دون إخلاص .(2)

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله في السلم :

شرط قبول السعي أن يجمعا فيه إصابة وإخلاص معا

لله رب العرش لا سواه موافق ا لشرع الذي ارتضاه

وكل ما خالف للوحيين فانه رد بغير مين

ومن كان أحيانا يخلص ويتابع وأحيانا لا يخلص ولا يتابع استحق من الثواب بقدر متابعته وإخلاصه فالأعمال تتفاضل بحسب الإخلاص والمتابعة فكلما كان عمل الإنسان أكثر إخلاصا وأكثر متابعة كان أفضل . بوب البخاري رحمه الله في صحيحه :(باب : تفاضل أهل الإيمان بالأعمال) . ولا بد في أي عبادة أن تكون موافقة للشرع في ستة أوصاف :

1- زمانها : فلو أراد شخص أن يصوم في شهر محرم فلا تجزئه ولا تقبل منه لأنه خالف الشرع في زمان هذه العبادة فلا يجوز صيام رمضان إلا في شهر رمضان لا غيره وكذلك لو أراد شخص أن يحج في صفر فلا يجزئه لان صفر ليس من أشهر الحج فحصلت هنا مخالفة

.....

(1) أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها برقم (2697) (2) أشار الشيخ ابن عثيمين رحمه الله إلى هذه المسالة , انظر الشرح الممتع (3 / 5)

في عدم موافقة الزمن الذي حدده الشرع لهذه العبادة.

2- مكانها : فلوا راد شخص أن يحج في الرياض بدلا من مكة لم تجزئه .

3- جنسها : فلو أراد شخص أن يضحي بخيله بدلا من كبش فلا يصح لأنه خالف الشرع في جنس الأضحية.

4 -سببها : فلو أراد شخص أن يخترع سببا من عنده ويصلي ركعتين كلما حصل هذا الشيء الذي اخترعه فلا يجوز كالاحتفال بالمولد النبوي .

5- كيفيتها : كما لو توضأ شخص فغسل رجليه قبل وجهه فلا يصح لأنه خالف الشرع في الكيفية

6- قدرها كما لو صلى الفجر أربعا فلا يصح لأن الشرع حدد الفجر بركتين وليس أربعا .
وقد أشار شيخنا محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله إلى ابتداع بعض الناس بدعة في هذه السورة وهي قراءتهم لها في نهاية الدعاء وابتداؤهم لها في الخطب وقرائنها في بعض المناسبات (1) . واصل العبادة في اللغة التذلل يقال طريق معبد أي مذلل للسالكين وسمي العبد عبدا للخضوع والتذلل لمولاه . وقدمت العبادة على الاستعانة لأن العبادة هي الهدف الأسمى والاستعانة وسيلة إليها فهو من باب تقديم الغايات على الوسائل والله اعلم .وذكر ابن سعدي رحمه الله في تفسيره : أنها من باب تقديم العام على الخاص ,واهتماما بتقديم حقه تعالى على حق عبده . (2) . وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين بعض الأسرار في تقديم العبادة على الاستعانة (3) . وقد تقدم أن من أساليب العرب أن يقدموا الأهم والعبادة مقامها رفيع إذا نسب العبد إلى الله تعالى فقد امتدح الله نبيه صلى الله عليه وسلم وشرفه بإضافته إليه فالمضاف تكون درجته أعلى بحسب المضاف إليه كما قال الشاعر :

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه اشرف أسمائي

قال تعالى عن نبيه صلى الله عليه و سلم : {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا } [الإسراء :1] وقال (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ) [الكهف :1] فالإضافة هنا من باب التشريف . ذكر ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين أن العبادة تجمع أصلين هما (غاية الحب بغاية الذل والخضوع) .وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ان المراد بالعبادة في قوله تعالى :{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ} ثلاثة اقوال :

1- انه بمعنى التوحيد روي عن علي وابن عباس واخرين .

2- انها بمعنى الطاعة كقوله تعالى:(أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) (يس: 60)

.....

(1) انظر تفسير جزء عم (ص 7) (2) انظر (ص 21)
(3) انظر(ص 162 / 163 / 164)

3- انها بمعنى الدعاء كقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) (غافر : 60).
والاقوال التي ذكرها ابن الجوزي – رحمه الله - الاختلاف فيها اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد فالخلاف فيها لفظي لان العبادة تستلزم التوحيد والطاعة والدعاء.

{ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } : الاستعانة استفعال وهو طلب الشيء كاسترجاع لطلب الرجوع واستفهام لطلب الفهم واستفتاء لطلب الفتوى . والاستعانة هي طلب العون من الخالق سبحانه .

وقد عرفها ابن سعدي رحمه الله في تفسيره لسورة الفاتحة بأنها : (**الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع, ودفع المضار, مع الثقة به في تحصيل ذلك**) (1) .وفي تقديم المعمول في قوله : { إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } إفادة للحصر وهي عدم الاستعانة إلا بالله وحده فيما لا يجوز الاستعانة إلا به. فإذا قيل هل طلب الاستعانة مختص بالله وحده أم تجوز من المخلوقين ؟ قيل تجوز من المخلوقين فيما يستطيعونه لان الاستعانة المذكورة هي استعانة العبادة وهذه خاصة بالله تعالى فلا تصرف إلا له تعالى إما الاستعانة الجائزة فهي الاستعانة التي لا يقصد بها العبادة كما لو طلب شخص من آخر أن يعينه على حمل شي ثقيل فهذا جائز لأنه ليس من باب العبادة . ويدل لهذا أن النبي صلى الله عليه وسلم استعان بخريت يدله الطريق كما ذكر ذلك النووي -رحمه الله- في تهذيب الأسماء واللغات أن عبد الله بن الاريقظ الليثي كان دليل النبي صلى الله عليه وسلم عندما هاجر إلى المدينة ثم قال النووي- رحمه الله- (وهو كافر لا يعلم له إسلام) (2) . حكى ابن القيم - رحمه الله- في مدارج السالكين عن شيخه ابن تيمية -رحمه الله - انه كان كثيرا يسمعه يقول :(إياك نعبد تدفع الرياء وإياك نستعين تدفع الكبرياء) (3) . ونقل أيضا في المدارج عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله -انه كان يقول : (تأملت انفع الدعاء :فإذا هو سؤال العون على مرضاته .ثم رايته في الفاتحة " { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } " (4) . وذكر أيضا أن الاستعانة تجمع أصلين هما (الثقة بالله والاعتماد عليه) (5) .فان قيل لماذا قال الله تعالى {نَعْبُدُ } بنون الجمع وأحيانا يقرؤها المنفرد ؟ وهل هي نون العظمة ؟ فللعلماء ثلاث أجوبة :

أولا: أن المقصود جنس العباد جميعا فالقارئ يخبر عن نفسه وعن غيره من العباد .

ثانيا : أن النون للتعظيم لان مقام العبودية عظيم .

ثالثا : أن (نعبد) أكثر تأدبا من (أعبد) لان في الثاني تعظيما لنفسه فكأنه جعل نفسه وحده عبدا لله . وهذه الأقوال الثلاثة كلها اجتهاد محض لأنها ليست مبنية على دليل ولعل لكل واحد منها نصيبا من النظر . قال بعض السلف :الفاتحة سر القران وسرها هذه الكلمة {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }. والناس على أربعة أقسام في الاستعانة بالله تعالى :

.....

(1) تفسير ابن سعدي (ص21) (2) (1 / 32) (3) انظر (1 / 128)

(4) انظر (ص 167) (5) انظر (ص 161)

1- من يعبد الله ويستعين به و هذا أكملهم وأفضلهم لأنه جمع العبادة والاستعانة فمن صلى مستشعرا انه لولا إعانة الله له لما استطاع أداء الصلاة فقد جمع عبادتين وهما الصلاة والاستعانة لان الاستعانة بالله عبادة .

2- من لا يعبد الله ولا يستعين به وهذا أسؤهم.

3 - من يغلب جانب العبادة فهو محق من وجه ومقصر من وجه آخر.

4- من يغلب جانب الاستعانة فهو محق من وجه ومقصر من وجه آخر.

ويبدوا أن اغلب المسلمين الآن من النوع الثالث الذين يغلبون جانب العبادة على جانب الاستعانة . فينبغي أن يقرن المسلم العبادة بالاستعانة ويتبرآ من قوته ويرى نفسه مقصرا فمن رأى التقصير في نفسه كان إلى الله اقرب وعن الغرور ابعد .والاستعانة نوعان :استعانة قال شيخنا محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى: (إ ن الله تعالى قد ينزل البركة للإنسان في وقتها بحيث يفعل في الوقت القصير ما لا يفعل في الوقت الكثير ومن أعظم ما يعينك أن تستعين بالله عز وجل في جميع أفعالك بان تجعل أفعالك مقرونة بالاستعانة بالله حتى لا توكل إلى نفسك لان كان وكلت إلى نفسك وكلت إلى ضعف وعجز وان أعانك الله فلا تسأل عما يحصل لك من العمل والبركة) (1). والاستعانة أنواع :

1- الاستعانة بالله تعالى وهي الاستعانة المشتملة على كمال ذل العبد لربه وتفويض أمره إليه وهذه لا تكون إلا لله وحده دون سواه.

2- الاستعانة بمخلوق على أمر يستيطع فعله بشرط أن لا يكون ذلك الفعل محرما وقد استعان النبي صلى الله عليه واله وسلم بخريت يدله على الطريق في بعض أسفاره .

3- الاستعانة بالأموات أو الأحياء بأمر مختص بالله تعالى لا يجوز صرفه إلا لله فهذا محرم كمن يطلب من الأموات الرزق أو طلب شفاء فلان ولا يدخل تحت هذا طلب شفاء المرض بالأسباب الطبية .

4- الاستعانة بالإعمال الصالحة كالصلاة والصبر قال تعالى: {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ } [البقرة :45](2)

{ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ}

قوله تعالى : {الصِّرَاطَ } الصراط فعال بمعنى مفعول أي مصروط وأمثلته كثيرة في اللغة كلباس بمعنى ملبوس وكتاب بمعنى مكتوب . و (الصراط) فيها

.....

(1) انظر شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم (ص 144-145) (2) توسع الدكتور حافظ جنيد في تفسير (اياك نعبد واياك نستعين) في كتابه المسمى (اياك نعبد واياك نستعين , مدخل الى فهم القران)

قراءتان سبعيتان بالسين والصاد . وحكى القرطبي رحمه الله في تفسيره قراءة بالزاي.(1).
اهدنا بمعنى أرشدنا ودلنا يا ربنا ثم ثبتنا . قال الطبري :(ومعنى قوله {اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ} في هذا الموضع عندنا : وفقنا للثبات عليه كما روي ذلك عن ابن عباس) (2) وقال في موضع اخر :(فكذلك قوله:{هدِنَا } انما هو مسألة الثبات على الهدى فيما بقي من عمره) (3) وذهب ابن الجوزي الى ماذهب اليه الطبري من ان معنى (اهدنا) ثبتنا.ذكره في المدهش .وذهب اليه البغوي قال في تفسيره :(وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية)(4) .ولم ير الطبري – رحمه الله – قول من قال (اهدنا) يعني زدنا هدى فقال :(وقد زعم بعضهم ان تأويل قوله :(اهدنا) زدنا) (5). والصراط بمعنى الطريق الواضح الذي لاعوجاج فيه . قال البغوي - رحمه الله - في جامع البيان :(أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعا أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح البين الذي لااعوجاج فيه)(6).وحكى الاجماع الطبري في تفسيره عند تفسير (الصراط المستقيم) من الفاتحة بمثل ماحكاه البغوي. ترجم الحاكم في المستدرك (شرح: الصراط المستقيم)واخرج عن عبد الله انه قال :هو كتاب الله وعن جابر قال : الاسلام وعن ابن عباس قال : هو رسول الله وصاحباه (7) قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.وكل ماقيل في تفسير الصراط يرجع الى ذات الشي فالخلاف فيه لفظي .

قال جرير : أمير المؤمنين على صراط * إذا اعوج الطريق مستقيم .

وانشده الطبري في تفسيره : امير المؤمنين على صراط * اذا اعوج الموارد مستقيم.

بذكر الموارد بدلا من الطريق.

ذكر ابن الجوزي رحمه الله عن بعض المفسرين أن الصراط تأتي في القران على وجهين :

1- - الطريق ومنه قوله تعالى :{فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ } [الصافات : 23] .

2- الدين ومنه قوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ } [الأنعام :153](8)

والصراط يذكر ويؤنث كالطريق والسبيل فيقال هذا صراط وهذه صراط وهذا طريق وهذه طريق . قال الأخفش الأوسط : (أهل الحجاز يؤنثون الصراط كما يؤنثون الطريق .... وبنو تميم يذكرون هذا كله) .(9) ورد الصراط في القران مفردا ولم يرد جمعا أبدا بخلاف السبيل فقد ورد مفردا وجمعا قال تعالى في الإفراد : { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي } [يوسف :108] وقال في الجمع : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت :69] .ورود الصراط مفردا في القران يدل على انه هو

.....

(1) (1 / 128) (2) تفسير الطبري (1 / 147) (1 / 103) (3) تفسير الطبري (1 / 150) (4) تفسير البغوي (1 / 6) (5) تفسير الطبري (1 / 148) (6) (3058, ومابعده) (7) مستدرك الحاكم (2 / 201) (8) انظر نزهة الأعين النواظر (ص 385) (9) انظر معاني القران (ص 166)

الذي تفضي إليه كل السبل لشموله واتساعه وهو (الطريق المستقيم) أحسن الطرق الموصلة للمقصود واقصرها بسبب استقامته بخلاف المعوج الذي يضل فيه سالكه ولا يصل فيه إلى المقصود. ورود الصراط مفردا يدل على أن طريق الجنة واحد وهو طاعة الله تعالى فلا طريق موصل إلى رضي الله تعالى غير طاعته تعالى .وطرق الضلال متعددة .قال ابن الجوزي :(فالطريق الموصل الى الله واحد وهو صراطه المستقيم وبقية السبل كلها سبل الشيطان من سلكها قطعت به عن الله واوصلته الى دار سخطه وغضبه وعقابه فربما سلك الانسان في اول امره على الصراط المستقيم ثم ينحرف عنه اخر عمره فيسلك بعض سبل الشيطان فينقطع عن الله ويهلك) (1) قال تعالى :(اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ) (البقرة :157) . فأفرد تعالى النوروهوالصراط المستقيم وجمع الظلمات للدلالة على ان طريق الضلال متعددة . وقال عز وجل : (وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) (الانعام : 1) فذكر النور مفردا وجمع الظلمات . وقال تعالى :(عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِلّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ) (النحل : 48)فذكر يمينا واحدا وشمائل كثيرة وقال تعالى :(صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) (الشورى : 53) .فذكر الصراط بالافراد وقال عز وجل :(فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (الزخرف : 43) .وفي موضع اخر من القران :(يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (البقرة : 142) وقال عز وجل :(وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (ال عمران : 101) .وكل صراط ذكر في القران فقد جاء بالافراد للدلالة على انه واحد فمن سلك غيره سلك طريق الضلال .وكل هذا يشعر بان الطريق الموصلة الى الله واحدة وهي الطريق المستقيم والطريق الموصلة الى جهنم كثيرة اكثر من ان تحصى كسفك الدماء والزنا والسرقة وظلم الناس وغيرها كثير .ويدل لهذا كله قوله تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون } [الأنعام : 153].:قال صلى الله عليه وسلم :(وان هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة)(2) وفي رواية الترمذي (وتفترق امتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار الا ملة واحدة . قالوا ومن هي يارسول الله ؟ قال : (ماانا عليه واصحابي)(3).ويدل له من السنة مارواه عبد الله ابن مسعود قال : **خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا، ثم قال " :هذا سبيل الله "، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: " هذه سبل – قال يزيد :متفرقة – على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه "، ثم قرأ: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل، فتفرق بكم عن سبيله(رواه احمد والنسائي وابن حبان** (4) . أما الطريق الموصل إلى جهنم, أعاذنا الله جميعا منها, فلها طرق متعددة لا تعد ولا تحصى كالشرك بالله وظلم الناس بشتى أنواعه كأكل حقوقهم والتعدي عليهم وشرب الخمر والزنا والربا وكل ما حرم الله تعالى . يتضمن دعاء العبد الهداية من الله تعالى افتقاره إليه وانه لولا فضل الله تعالى ومنه عليه بالهداية لما اهتدى ولما عرف الطريق الموصل إلى رضوان الله تعالى ويتضمن كذلك كمال فضله

.....

(1)المحجة في سير الدلجة (ص 65) (2)اخرجه ابو داوود برقم(4586)

(3) الحديث برقم (2641) (4) ذكره البغوي في مصابيح السنة برقم (130)

تعالى وربوبيته على الخلق .قال تعالى : {وَمَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ[}الإسراء : 97] وقال تعالى { :وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } [الزمر :23] فمن رزق الهداية فليسال الله الثبات فان قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء .

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو (إن قلوب بني ادم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن . كقلب واحد .يصرفه حيث يشاء) (ثم قال : اللهم ! مصرف القلوب ! صرف قلوبنا على طاعتك) (1) . انشد عامر بن الاكوع رضي الله عنه :

اللهم لولا أنت مااهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداء لك مابيقينا والقين سكينة علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا إنا إذا صيح بنا أبينا

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم الخندق :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا

فانزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا (2)

وتعدى الفعل هنا (اهدنا) بنفسه دون استعمال حرف الجر (إلى) أو (اللام) حتى يتضمن الدعاء نوعي الهداية ولأنه لو تعدى بحرف جر لاختص المعنى بمعنى الحرف فلما تعدى بنفسه دل على احتوائه جميع المعاني وهذا من بلاغة القران فهو منصوب بنزع الخافض. ونظيره من القران قوله تعالى :(وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ) (اتوبة : 5) والتقدير بكل مرصد وقوله تعالى :(لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ)(الاعراف :16) والتقدير في او على صراطك المستقيم فصراط منصوب بنزع الخافض. وحكى الرازي اجماع النحويين في تفسيره على حذف على. ونظيره من السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم :(صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا)(3) قوله صلى الله عليه وسلم :(خمسا) منصوب بنزع الخافض والتقدير بخمس وأمثلته كثيرة قال جرير :

تمرون الديار ولم تعوجوا كلامكم علي إذن حرام

أراد تمرون بالديار فنصب الديار بنزع الخافض . وقول الآخر :

استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل

.....

(1) رواه مسلم عن عمرو بن العاص برقم (2654) (2) رواه البخاري عن البراء بن عازب برقم (6620) (3) الحديث عند البخاري برقم (637)

أراد من ذنب فنصب ذنبا بحذف حرف الجر المقدر . وحذف الخافض من أساليب العربية ومنه قول الشاعر:

إذا قيل من في الناس شر قبيلة أشارت كليب بالأكف الأصابع

بخفض كليب على تقدير حرف الجر المحذوف (إلى كليب) وأمثلته كثير في اللغة العربية . وأحيانا يتعدى الفعل (هدى) إلى مفعوله بحرف الجر إلى كقوله تعالى : {فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ } [سورة الصافات :23] . وأحيانا باللام كقوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } [سورة الأعراف :43] وهدى تنصب مفعولين كقولك (هدى الله المؤمنين إلى الحق) فالمؤمنين مفعول أول والجار والمجرور في محل نصب مفعول به ثان وكقوله تعالى : {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) } [سورة البلد :10] فالهاء المفعول الأول ونجدين المفعول الثاني وممكن أن يكتفى بالمفعول الأول ويحذف المفعول الثاني كقولك (هداك الله) فالكاف هي المفعول الأول والمفعول الثاني محذوف تقديره إلى الخير أو إلى الحق فيقدر بما يناسب المقام . ووصف الصراط بالمستقيم فيه دلالة على انه اقرب الطرق الموصلة إلى الله سبحانه وتعالى لان الطريق كلما اعوج كان أطول وابعد .فالطريق المستقيم هو اقرب الطرق الموصلة إلى المقصود . ويفهم من قوله تعالى : { الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ) } أن هناك صراطا غير مستقيم يؤدي بسالكه إلى الهلاك , يدل لهذا قوله تعالى : {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون } [الأنعام : 153].

والهداية على نوعين : هداية توفيق وهداية إرشاد فمن هداية الإرشاد قوله تعالى عن ثمود: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى } [فصلت :17]. ومن هداية التوفيق قوله تعالى : { لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء } [البقرة :272] . وبهذا نجمع بين قوله تعالى : { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [الشورى :52]. وقوله : {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } [القصص :56] . فالأولى هداية إرشاد وهي المثبتة وتشمل كل من عنده علم وإرشاد وبيان قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا } [الأنبياء : 73]. وقال تعالى : {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ } [الرعد : 7]. والثانية هداية توفيق وهي المنفية والهداية المقصودة هنا تشمل النوعين فهي لطلب الإرشاد ثم لطلب التوفيق والإلهام . وقد قسم ابن القيم رحمه الله مراتب الهداية الخاصة والعامة إلى عشر مراتب نوجزها فيما يلي :

1- مرتبة تكليم الله عز وجل لعبده يقظة بلا واسطة بل منه إليه وهذه اعلي المراتب كما كلم موسى بن عمران عليه السلام قال الله تعالى : {وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } [النساء: 164] . وهذا يدل على أن التكليم اخص من مطلق الوحي .

2- مرتبة الوحي المختص بالأنبياء قال تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ } [النساء :163]

3- إرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري فيوحي إليه عن الله ما أمره أن يوصله إليه .فهذه المراتب الثلاث خاصة بالأنبياء لتكون لغيرهم .

4- مرتبة التحديث وهذه دون مرتبة الوحي الخاص وتكون دون مرتبة الصديقين .

5- مرتبة الإفهام قال تعالى : { وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا } [الأنبياء :78] فخص سليمان بالفهم في هذه الواقعة المعينة .

6- مرتبة البيان العام وهو تبين الحق وتميزه من الباطل بأدلته وشواهده وإعلامه بحيث يصير مشهودا للقلب كشهود العين للمرئيات .

7- البيان الخاص وهو البيان المستلزم للهداية الخاصة وهو بيان تقارنه العناية والتوفيق والاجتباء وقطع أسباب الخذلان وموادها عن القلب .

8 - مرتبة الإسماع قال تعالى: {وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ } [الأنفال :22] . وهذا إسماع القلوب فان الكلام له لفظ ومعنى وله نسبة إلى الإذن والقلب وتعلق يهما فسماع لفظه حظ الأذن وسماع حقيقة معناه ومقصوده حظ القلب .

9 - مرتبة الإلهام قال تعالى : {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} [الشمس آية7 / 8]

10- الرؤيا الصادقة وهي من أجزاء النبوة .(1)

واتصافه تعالى ب {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فيه إشارة إلى وجوب الرحمة بين المؤمنين قال تعالى : {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ } [الفتح : 29] . وكما تواترت الأحاديث بذلك منها (من لا يرحم لا يرحم) (2) . و (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (3) رواه مسلم عن النعمان بن بشير . ويجب عدم الخلط بين نوع الهداية ومرتبة الهداية فالنوع اشمل من المرتبة لان النوع قد يشمل عدة مراتب . وللهداية أسباب منها :

1- توحيد الله تعالى لقوله عز وجل : {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ } [الأنعام :82 }. وقد فسر الظلم في موضع آخر من القران بأنه الشرك (إن الشرك لظلم عظيم) [لقمان :13] وإذا فسر القران بالقران لا يصار إلى غيره وهو أفضل أنواع التفسير كما تقرر في علم أصول التفسير . والتوحيد أعظم أسباب الهداية وهو لب جميع الرسالات السماوية .

.....

(1) انظر مدارج السالكين (1 / 97) (2) أخرجه البخاري برقم (6013)

(3) الحديث برقم (2586)

2 --التوبة إلى الله تعالى . قال تعالى: {وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ } [الرعد :27] . فمنطوق الآية أن الله تعالى يهدي من يرجع إليه تعالى بالإنابة وهي التوبة ومفهومها أن من لا يتوب لا يهديه الله .

3-- امتثال أمر الله لقوله تعالى : {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ } [الزمر :18] وقال تعالى : {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا } [النساء :66-67 -68].

4-- الاعتصام بالله تعالى لقوله عز وجل : {وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [سورة آل عمران :101] .والاعتصام هو اللجوء إلى الله تعالى دون سواه.

5- المجاهدة في سبيل الله لقوله تعالى : {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } [العنكبوت : 69] . والمجاهدة بمفهومها الواسع تشمل مجاهدة النفس الأمارة بالسوء {إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ } [يوسف : 53] وتشمل المجاهدة بالمال كبذله للفقراء وفي سبيل الله وبناء المساجد ومساعدة طلبة العلم لتحصيله وتشمل المجاهدة باللسان كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

6- الدعاء لما رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه (اللهم ! إني أسألك الهدى والتقى , والعفاف والغنى) (1). وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه واله وسلم كان إذا قام في الليل دعي (وأهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك انك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) (2) .

7 - الرفقة الصالحة . ومعلوم تأثير الرفقة صالحة كانت أو سيئة . روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحا خبيثة) (3) . وقد نال كلب أصحاب الكهف شرفا ومنزلة عالية أن ذكره الله في القران بسبب صحبته أناسا صالحين {وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ } الكهف : 18] وقيل في المثل : (الصاحب ساحب) .وللثبات على الهداية أسباب منها :

1- سؤال الله تعالى الثبات على الحق وافتقاره إلى الله تعالى وعلمه أن أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم كان يسال الله تعالى الثبات فبقية البشر من باب أولى . قال

.....

(1) الحديث برقم (2721) (2) الحديث برقم (770) (3) الحديث برقم (2628) واللفظ لمسلم

تعالى : { رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ } [آل عمران : 8]. ونعلم ايضا امتنان الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بان ثبته على الحق .قال تعالى : {وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً }

[الإسراء : 74] .

2- الإيمان بالله تعالى . قال تعالى : {يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ } [إبراهيم : 27] . قال ابن القيم رحمه الله :(**وتحت قوله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) كنز عظيم من وفق لمظنته وأحسن استخراجه واقتناءه وأنفق منه فقد غنم ومن حرمه فقد حرم وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين فإن لم يثبته وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله :(وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) وقال تعالى :(إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا .وفي الصحيحين من حديث البجلي قال: وهو يسألهم ويثبتهم .وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم:(وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ)** (1)

قال ابن سعدي رحمه الله في تفسيره :(**يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من الإيمان القلبي التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها. وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت " من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ " هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن " :الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي)** (2) .

3- الإقبال على القران الكريم تلاوة , وعملا , وتدبرا , فالقران فيه الهدى والثبات الكاملان لمن أخذ به . قال تعالى : {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [الحجر : 102] . ويلحق بالقران الكريم أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فهي مفسرة للقران ومفصلة لما أجمل في القران لأنها وحي من الله تعالى وفيها من العلم والنور والهدى ما يزيد في الإيمان ويثبت القلوب بشرط التأكد من صحة الأحاديث كما هو معلوم في علم الحديث .

4- ترك الظلم بكل أنواعه . قال تعالى : { وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء }

[إبراهيم : 27]ففي هذه الآية الكريمة إخبار من الله تعالى أن الظلم صارف عن الهداية أصلا فضلا عن الثبات عليها .

.....

(1) انظر أمثال القران (ص.42 – 43) (2) انظر (ص 451)

5- نصرة دين الله تعالى . قال تعالى : {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }

[محمد : 7] فهذا وعد من الله تعالى بأنه سينصر من ينصر دينه وييسر له أسباب الثبات في الدنيا والآخرة .

6 – المداومة على النوافل فهي سبب لقرب العبد من ربه تعالى وذا قرب العبد من ربه كان سببا من أسباب إعانته على الثبات كما روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ,وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه , ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه , فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به , وبصره الذي يبصر به , ويده التي يبطش بها , ورجله التي يمشي بها ,ولئن سألني لأعطينه , ولئن استعاذتي لأعيذنه) (1) . وهناك أسباب أخرى ولعل ما ذكر من أبرز الأسباب .

بين الله تعالى في قوله :{فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ } [الأعراف : 30] أن اتخاذ الشيطان وليا من دون الله من موجبات الضلال والغواية . وينبغي للعبد أن يعمل ويجتهد في تحصيل الأسباب الجالبة والمقوية للإيمان ومن أعظمها تدبر القران فانه يقوي القلب ويعمره بالإيمان وينيره فيرى الحق حقا والباطل باطلا ويحث على أعمال القلوب والتوكل والإخلاص ويجعله متعلقا بالله وحده دون سواه وكذلك معرفة النبي صل الله عليه وسلم ومعرفة أحواله ودراسة سيرته ومعرفة أخلاقه ومعجزاته والتفكر في آيات الله , قال تعالى : { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران :191] وقال تعالى : {أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ }

[الأعراف :185] . وقال تعالى في موضع اخر : { قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ } [يونس :101] فكل هذه الآيات دعوة صريحة من خالق هذا الكون الى النظر واعمال العقل مرة بعد اخرى في هذا الكون المعجز الدال على عظمة الخالق سبحانه فعظمة المخلوق دليل على عمة الخالق سبحانه وتعلى الداعي الى الايمان به والتسليم والخضوع له دون سواه .وممن توسع في ذكر بديع صنع الله في كونه أ.د صبري الدمرداش في كتابه (بديع صنع الله في الكون) . وكذلك الاستاذ اسامة الناعسة في كتابه (الله يدعونا للنظر في آياته وعظمته في خلقه)(2) . وكذلك معرفة أحوال الأمم السابقة كيف أهلك الله العاصين ونجى الطائعين ومعرفة ما لاقاه الأنبياء من المصاعب والمتاعب وكيف نصرهم الله في النهاية ونصر إتباعهم وأهلك من كفروا بهم .

.....

(1) الحديث برقم (6502) (2) انظر ايضا (أسرار الحكمة) للغزالي

. قال تعالى : {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } [غافر :51] ومن الأسباب المقوية للإيمان التفكر في نعم الله تعالى الظاهرة ة والباطنة فالظاهرة كصحة الجسد وسلامة الحواس والباطنة كالإيمان بالله تعالى وسلامة القلب من الأحقاد والكره وبغض الآخرين وإرادة الشر للغير والحسد وسلامة المعتقد . قال تعالى : {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً } [لقمان :20]. وقال تعالى: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } [النحل : 18] .

وللهداية ثمرات منها :

1- راحة البال والشعور بالطمأنينة .وهي نعمة لا يعرفها إلا من فقدها كما قيل (وبضدها تتبين الأشياء) . وما نسمعه من انتحار أو محاولة انتحار في بعض البلدان ما هو إلا نتيجة فقد راحة البال الناشئة عن البعد عن الله .

2- من اهتدى زاده الله هدى . قال تعالى : { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ } [سورة محمد :17] . قال ابن القيم رحمه الله :(تكرر في القران جعل الأعمال القائمة بالقلب والجوارح سبب للهداية أو الإضلال فيقوم بالقلب والجوارح أعمال تقتضي الهدى اقتضاء السبب لمسببه والمؤثرة لأثره , وكذلك الضلال . فأعمال البر تثمر الهدى وكلما ازددت منها ازداد الهدى وأعمال الفجور بالضد وذلك أن الله سبحانه يحب أعمال البر فيجازي عليها بالهدى والفلاح ويبغض أعمال الفجور ويجزي عليها بالضلال والشقاء وأيضا فانه البر ويحب أهل البر فيقرب قلوبهم منه بحسب ما قاموا به من البر ويبغض الفجور وأهله فيبعد قلبوهم منه بحسب ما تصفوا به من

الفجور) (1) ومن اراد الهداية وسعى في اسبابها وفقه الله كما وفق سلمان الفارسي وقد جاء من اصبهان من بلاد فارس في قصة اسلامه الطويله عند احمد في مسنده(2) وبوب البخاري في صحيحه (باب اسلام سلمان الفارسي) ولم يذكر قصة اسلامه . في هذا الباب وذكر الحافظ في الفتح انه ذكر شيئا من ترجمته في كتاب البيوع .وضل ابو طالب ربيب بيت النبوة كما في البخاري ان ا لنبي صلى الله عليه وسلم قال لابي طالب : (ياعم قل : لااله الا الله كلمة اشهد لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن امية : ياابا طالب : اترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فكان اخر ماقال : هو على ملة عبد المطلب) (3) قال تعالى :(وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا) (الانعام : 25) وقال عز وجل :(وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا) (الاعراف : 146) وكانت الرفقة السيئة من اسباب ضلال ابي طالب لانهم كانوا يؤلبونه على الشرك وعدم سماع مايقوله النبي صلى الله عليه وسلم .

.....

(1) انظر الفوائد (ص 160 / 161) (2) انظر قصة اسلامه في مسند احمد رقم (23737) والحاكم في المستدرك برقم (6606) (3) البخاري برقم (1360)

.ويروى عن بعض السلف (اذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم ان لها عنده اخوات , واذا رأيته يعمل لسيئة فاعلم ان لها عنده اخوات فان الحسنة تدل على اختها والسيئة تدل على اختها) .

3- سعة الرزق . قال تعالى : {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق :2] .

4- حب الله للعبد . روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا أحب الله عبدا دعا جبريل فقال : إني أحب فلانا فأحبه .قال : فيحبه جبريل . ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء .قال : ثم يوضع له القبول في الأرض) (1) .وهذا مشاهد ويصدقه الواقع فكل من التزم بدين الله التزاما حقيقيا وجدناه محبوبا عند الناس ومن أقرب الأمثلة إلي هو شيخنا محمد بن صالح العثيمين رحمه الله فقد رأيت من حب الناس له الشيء الكبير ولعل هذا فيه إشارة إلى حب الله له رحمه الله تعالى لأنه - نحسبه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدا - انه كان مخلصا في دين الله تعالى ناصحا باذلا نفسه من أجل مرضاة الله وقد درست على يديه رحمه الله فلمست منه الإخلاص وتقوى الله. وقد ذكر لي أكثر من شخص أنه يحب الشيخ رحمه الله بالرغم من أنه لم يره.وكلما كان العبد الى الله اقرب كانت محبة الله له اكثر وكان حب الناس له اعظم تبعا لحب الله تعالى. وهذه علامة أخرى على حب الله لهذا الشيخ الجليل.

.....

(1) الحديث برقم (2627) واللفظ لمسلم

وعند وفاته رحمه الله حزن الناس عليه حزنا عظيما وشيعه خلق كثير يعدون بالآلاف وهذه علامة ثالثة من علامات حب الله له كما ورد بذلك الحديث الصحيح عند البخاري من حديث انس رضي الله أن جنازة مرت فاثنوا عليها فقال عليه الصلاة والسلام وجبت . ثم مرت جنازة أخرى فذموها فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت ثم استفسر عمر رضي الله عنه ما وجبت ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أما الأول فأثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وأما الثاني فأثنيتم عليه شرا فوجبت له النار انتم شهداء الله في الأرض)(1) .فالناس شهداء الله في أرضه كما نص عليه هذا الحديث وترجم له البخاري (باب : ثناء الناس على الميت)واخرجه الترمذي وبوب له (باب ماجاء في الثناء الحسن على الميت).

روى عبد الله بن الإمام احمد بن حنبل رحمها الله عن أبيه انه قال : (قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز). فمن شيعه وصلى عليه خلق كثير فانه يرجى له خير وهي من علامات حسن الخاتمة والمآل .

ومما حدث بعد وفاة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - أن رأيته في المنام مرتين وهو مبتسم ابتسامته المعهودة وبلباسه الأبيض المعروف ومن الغرائب أن شخصا آخر رآه على نفس الصفة التي رايتها عليها ولعل هذا أيضا فيه إشارة إلى رحمة الله وحسن مآله بسبب أعماله الصالحة التي قدمها في حياته والرؤيا الصالحة من المبشرات كما ورد بذلك الحديث فرحمه الله رحمة واسعة وغفر له وأجزل له المثوبة على ما قدم للإسلام والمسلمين.

وثناء الناس عليه ومحبتهم له من عاجل بشرى المؤمن .اخرج مسلم في صحيحه عن ابي ذر قال : قيل لرسول الله , ارأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه ؟ قال :(تلك عاجل بشرى المؤمن) (2) .اشار النووي في شرحه على صحيح مسلم عند شرحه هذا الحديث : ان ذلك دليل على رضا الله تعالى عنه ومحبته له فيحببه الى الخلق ثم يوضع له القبول في الارض .ومن تراجم مسلم في صحيحه (باب : اذا اثني على الصالح فهي بشرى ولاتضره).

قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) (مريم : 96) أي محبة في قلوب عباده .

.....

(1) الحديث عند البخاري برقم (1367) ورواه بلفظ اخر برقم (2642) واخرجه الترمذي برقم بلفظ اخر (1058) (2) الحديث برقم (2642)

ومن رحمة الله أن يبقى هذا الحب بعد الموت ودعاء الناس للمتقي لله وهو في قبره وهو في أمس الحاجة إلى دعاء الناس له لعل الله يتقبل دعوتهم أو بعضهم بعد انقطاع عمله.

5- ضبط النفس والبعد عن المهالك . كما اخبر الله تعالى عن قصة قابيل وهابيل فقال تعالى :{ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } [المائدة :28] فما منع هابيل من قتل آخيه إلا الخوف من الله تعالى مع انه كان اقدر بالقتل من قابيل كما ذكره بعض المفسرين .

وكما أن للهداية أسبابا فان لها موانع أيضا وهي :

1- الشرك بالله وهو أعظم أسباب الضلال . قال تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلاَلاً بَعِيدًا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا**) النساء الآيات 167 – 168 -169

2- إتباع الهوى . قال تعالى: { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين } [القصص :50] . فالهداية تكون بإتباع أوامر الله واجتناب نواهيه لا بإتباع الأهواء وقال تعالى في موضع آخر: { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [الجاثية :23] وقال عز وجل :(أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) (محمد : 16) وكل موضع في القران ذكر فيه جاء في سياق الذم كما ذكر في الايات السابقة وقال تعالى :(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) (النازعات :40-41) ذكر القرطبي في تفسيره عن سهل انه قال :(ترك الهوى مفتاح الجنة لقوله عزوجل: وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) , فابتاع الهوى من اشد أسباب الضلال والبعد عن الحق واصل من اصول الضلال والبعد عنه سبب للفلاح. قال الشاطبي – رحمه الله - :(المقصد الشرعي من وضع الشرعية : اخراج المكلف عن داعية هواه , حتى يكون عبدا لله اختيارا كما هم عبد الله اضطرارا) (1) .وقال بعد ان ساق الايات التي ذكر فيها ذم الهوى في القران :(فهذا كله واضح في ان قصد الشارع الخروج عن اتباع الهوى والدخول تحت التعبد للمولى) (2)(3) وقيل : ان آفة العقل الهوى .

ذكر ابن القيم – رحمه الله – في (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر ولحكمة والتعليل) الهدى والضلال ومراتبهما وفصل القول في ذلك .

.....

(1) الموافقات (2 / 471) (2) الموافقات (2 / 472) (3) توسع الكتور . عبد الله بن عبد الرحمن الشثري وكيل جامعة الامام في الكلام على الهوى في كتابه (النهي الصريح عن اتباع الاهواء واهلها في القران الكريم) وتوسع كثيرا ابن الجوزي في (ذم الهوى)

3- الكبر وعدم قبول الحق . وهذا سبب آخر للضلال. قال تعالى : { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ }

[الأعراف :146].

4- الرفقة السيئة .وقد مر بنا الحديث الذي يدل على فضل الرفقة الصالحة والحث عليهم مجالستهم والتحذير من الرفقة السيئة والبعد عنهم .وصاحب السوء له حكم فاعله سواء بسواء .قال تعالى :{ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ} النساء : 140]

والصراط إذا أضيف إلى الله صار بمعنى شرعه كقوله تعالى : { هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [الأنعام :153] أي شرعي وإذا أضيف إلى الخلق أصبح طريقهم الذي يسلكونه كقوله في الفاتحة

: { . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ }

وممن توسع في ذكر أسباب الهلاك وموانعها أبو عبد الله عبد الرحمن الشميري في كتابه (أسباب هلاك العبد وموانعه) .

(أل) الداخلة على (الصراط) للعهد الذهني أي الصراط المعهود في أذهاننا وهو صراط الله المستقيم فان قيل لم نكر الصراط في مواضع أخرى من القران كقوله تعالى : {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا } وقوله تعالى : { قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [الأنعام : 161] . وهناك مواضع أخرى فالجواب أن ما جاء في صورة النكرة فلأنه في سياق الإخبار وليس في سياق الدعاء . ولا تسمي العرب الصراط صراطا إلا إذا اجتمعت فيه شروط خمسه وهي الاستقامة والسهولة والإيصال إلى المقصود وواسعا لسالكيه وان يكون مسلوكا . والهداية المطلوبة هنا لها ثلاثة أبعاد : العلاقة بينك وبين نفسك والعلاقة بينك وبين الآخرين والعلاقة بينك وبين رب العالمين .

قوله تعالى :{الْمُسْتَقِيمَ } صفة مؤكدة لصراط .

{ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ } صراط منصوب على البدل من صراط الأولى. قال الأخفش الأوسط في " معاني القران ": (صراط: منصوب على البدل) (1) . وهناك اوجه اخرى للاعراب ذكر الاخفش انها شاذة ولاعبرة بها . وهذا { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ } فيه من البلاغة أنه تفصيل بعد إجمال وفيه تشويق للنفس فالسامع تتوق نفسه بعد سماع الإجمال ففيه من جذب المخاطب وإثارة الوجدان ما هو ظاهر.

.....

(1) انظر (ص 164)

ونظيره من السنة قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي :(اصبح من عبادي مؤمن بي و كافر , فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فهو كافر بي مؤمن بالكواكب)(1). فجاء التفصيل بعد الاجمال لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل : من قال : مطرنا بفضل الله فهو مؤمن ومن قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فهو كافر .ونظير آخر من السنة قوله صلى الله عليه وسلم :(ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. (ثلاث مرات) قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب) (2) ويقال في هذا الحديث ماقيل في الحديث الأول .والإنعام هو إيصال الإحسان إلى الغير .

وبني الفعل هنا للمعلوم {أَنعَمتَ } ولم يقل (المنعم عليهم) لان طريقة القران ان يبنى الفعل للمعلوم في سياق الكلام م على الرحمة والإحسان ويبنى الفعل على مالم يسم فاعله في سياق الكلام على الجزاء والوعيد والانتقام وهذا من أدب الخطاب . ومنه قوله تعالى :{ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا } [الجن :10] فتأمل كيف بني الفعل لما لم يسم فاعله عند الكلام على الشر ولم ينسب إلى الله وبني الفعل لما سمي فاعله عند الكلام على الخير ومنه قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : { الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ } [الشعراء : 78 -79 -80] ولم يقل أمرضني ربي وهذا من أدب الخطاب ومن راعى الادب في القول راعاه في الفعل. أخرج مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قام إلى الصلاة (..... والشر ليس إليك) (3).وقد بين الله تعالى المنعم عليهم في موضع آخر من القران {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } [النساء :69].

.....

(1) الحديث عند مسلم برقم (71) (2) الحديث عند مسلم برقم (106)
(3) الحديث برقم (771) (4) شرح أصحاب الفضيلة ابن عثيمين وابن جبرين وآل الشيخ (ص 254)

{غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } حذف الفاعل هنا فلم يذكر من هو الغاضب للإشارة إلى إهانة المغضوب عليهم وتحقيرهم في حين ذكر فاعل المنعم عليهم إشارة إلى إكرامهم ورفع قدرهم. ونظير هذا لو أن ملكا من ملوك الدنيا أكرم شخصا فقولنا هذا الذي أكرمه الملك ابلغ من قولنا هذا الذي أكرم وأعطي . المغضوب عليهم هم اليهود وكل من شابههم في معرفة الحق مع الإصرار على تركه والضالون هم النصارى وكل من شابههم في الجهل ويدل لهذا القران .قال الله تعالى في اليهود : {وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ } [آل عمران : 112]. وقال تعالى في النصارى : {قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ } [المائدة : 77] . وأحسن تفسير للقران ما كان من القران كما قرر ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في مقدمة التفسيرفقال : (إ ن أصح الطرق في أن يفسر القران بالقران فما أجمل في مكان فانه قد فسر في موضع آخر وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر) (1).وممن سلك هذا الطريق اعني تفسير القران بالقران الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في تفسير (أضواء البيان في إيضاح القران بالقران) وقد سلك ابن كثير- رحمه الله - هذا المسلك في تفسيره . فإذا لم تجد تفسيرا للقران بالقران فابحث في السنة فهي مفسرة له في كثير من الأحيان ويأتي (تفسير الفران بالسنة في المرتبة الثانية) وقد تقدم الكلام على سبب مجيء (المغضوب) بما لم يسم فاعله. والضلال هنا هو الخروج عن طريق الحق وللعرب لغتان كسر الضاد وفتحها .

ذكر الشنقيطي رحمه الله في تفسيره أن لفظ (الضلال) يطلق في القران واللغة العربية ثلاث اطلاقات :(الإطلاق الأوّل: يطلق الضلال مرادًا به الذهاب عن حقيقة الشيء ، فتقول العرب في كل من ذهب عن علم حقيقة شيء ضلّ عنه، وهذا الضلال ذهاب عن علم شيء ما، وليس من الضلال في الدين. ومن هذا المعنى قوله هنا: { وَأَنَاْ مِنَ ٱلضَّالّينَ } ، أي: من الذاهبين عن علم حقيقة العلوم، والأسرار التي لا تعلم إلا عن طريق الوحي، لأني في ذلك الوقت لم يوحَ إليّ .

والإطلاق الثاني: وهو المشهور في اللغة، وفي القرآن هو إطلاق الضلال على الذهاب عن طريق الإيمان إلى الكفر ، وعن طريق الحقّ إلى الباطل، وعن طريق الجنّة إلى النار، ومنه قوله تعالى: (غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ ٱلضَّالّينَ).

.....

(1) شرح أصحاب الفضيلة ابن عثيمين وابن جبرين وآل الشيخ (ص 254)

والإطلاق الثالث: هو إطلاق الضلال على الغيبوبة والاضمحلال، تقول العرب: ضلّ الشيء إذا غاب واضمحلّ، ومنه قولهم: ضلّ السمن في الطعام، إذا غاب فيه واضمحلّ، ولأجل هذا سمّت العرب الدفن في القبر إضلالاً؛ لأن المدفون تأكله الأرض فيغيب فيها ويضمحلّ. ومن هذا المعنى قوله تعالى: (وَقَالُواْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الأرض) [السجدة : 10] يعنون: إذا دفنوا وأكلتهم الأرض، فضلوا فيها، أي: غابوا فيها واضمحلّوا) (1) وأوصل ابن الجوزي رحمه الله اطلاقات الضلال إلى عشرة أوجه (2).وهذان الوصفان أعني المغضوب عليهم والضالين لا يقتصران على اليهود والنصارى فقط بل كل من شابههما أو سار على طريقهما لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما تقرر في علم الاصول .وخص اليهود بوصف (المغضوب عليهم) دون النصارى , وان كانوا جميعا يستحقون هذا الوصف , لكونهم علموا ولم يعملوا فكانوا احق بوصف الغضب . وخص النصارى بوصف (الضالين) , وان كان اليهود يشاركونهم بهذا الوصف , لانهم كانوا جهلة فكانوا اجدر بهذا الوصف لأن الجاهل لا يمكن ان يعرف الطريق الصحيح الا بالعلم . . وبهذا نعرف أن أسباب الخروج عن الصراط إما لجهل كالنصارى أو لعناد كاليهود . قال بعض السلف كسفيان بن عيينه وغيره (من فسد من العلماء ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عباده ففيه شبه من النصارى). قال ابن رجب:(ووجه هذا ان الله ذم علماء اليهود باكل السحت واكل الاموال بالباطل والصد عن سبيل الله وبقتل النبيين بغير الحق وبقتل الذين يامرون بالقسط من النسا وبالتكبر عن الحق وتركه عمدا خوفا من زوال الماكل والرياسات وبالحسد وبقسوة القلب وبكتمان الحق وتلبيس الحق بالباطل وكل هذه الخصال توجد في علماء السوء من اهل البدع ونحوهم . واما النصارى فذمهم الله بالجهل والضلال وبالغلو في الدين بغير الحق ورفع المخلوق في درجة لايستحقها حتى تدعى فيه الالوهية واتباع الكبراء في التحليل والتحريم وكل هذا يوجد في جهال المنتسبين الى العبادة من هذه الامة).(3)

.....

(1) أضواء البيان (6 / 233 – 234) (2) انظر نزهة الأعين النواظر (ص 407)

(3) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب (1 / 250 – 251)

قوله تعالى : { عَلَيهِمْ } فيها قراءتان سبعيتان بضم الهاء وكسرها .وذكر القرطبي في تفسيره والعكبري في الاملاء أن {عَلَيهِمْ) فيها عشر لغات. وافرد العكبري في (املاء مامن به الرحمن) فصلا عن (هاء الضمير) في مثل (عليهم) وذكر ان سبب الافراد هو تكراره في القران فان قيل لماذ قدم المغضوب عليهم على الضالين ؟ قال ابن القيم رحمه في سياق الجواب عن هذا السؤال: (أحدها أنهم متقدمون عليهم بالزمان).

الثاني: أنهم كانوا هم الذين يلون النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتابين، فإنهم كانوا جيرانه في المدينة والنصارى كانت ديارهم نائية عنه، ولهذا تجد خطاب اليهود والكلام معهم في القرآن أكثر من خطاب النصارى كما في سورة البقرة والمائدة وآل عمران وغيرها من السور .

الثالث : وهو أحسنها أنه تقدم ذكر المنعم عليهم والغضب ضد الإنعام والسورة هي السبع المثاني التي يذكر فيها الشيء ومقابله، فذكر المغضوب عليهم مع المنعم عليهم فيه من الازدواج والمقابلة ما ليس في تقديم الضالين، فقولك: الناس منعم عليه ومغضوب عليه فكن من المنعم عليهم، أحسن من قولك: منعم عليه وضال.)(1).وفي تقديم المغضوب عليهم على الضالين إشارة إلى أن من علم ولم يعمل اشد إضلالا ممن عمل على جهل , ولا يشترط أن يكون الإنسان ملما بعلم كثير حتى يكون عالما فمل من علم مسالة من مسائل العلم فهو عالم بها . ولا يفهم من هذا أن الله تعالى ظلمهم عندما غضب عليهم أو أضلهم وقد ذكر شيخنا محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى قاعدة مفيدة بهذا الخصوص وهي قوله : (فمن حقت عليه كلمة العذاب فانه لا يمكن أن يهتدي مهما أوتي من آية ولكن لا تحق كلمة العذاب إلاعلى من استحقها حتى لا يقال إن الله تعالى قد اجبره على العمل ,لقوله تعالى : { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } والله عز وجل ينظر في قلوب العباد فمن كان أهلا للهداية هداه , ومن لم يكن أهلا لها لم يهده فمن حقت عليه الكلمة لما في قلبه من الزيغ – والعياذ بالله – فانه لا يؤمن) (2) . وقال السعدي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى : { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } [الصف : 5] : (وهذه الآية الكريمة تفيد أن إضلال الله لعباده ليس ظلما منه ولا حجة لهم عليه وإنما ذلك بسبب منهم فإنهم الذين أغلقوا على أنفسهم باب الهدى بعدما عرفوه فيجازيهم بعد ذلك بالإضلال والزيغ الذي لا حيلة لهم في دفعه وتقليب القلوب عقوبة لهم عدلا منه بهم كما قال تعالى : (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } [الأنعام : 110] (3) . وذكر العلامة أبو الحسن الندوي في كتابه (الأركان الأربعة) عن اليهود والنصارى : (لا يتذوق كلمة المغضوب عليهم ولا يؤمن بصحتها وانطباقها على اليهود إلا من درس تاريخهم وعرف سيرتهم والدور الهدام الذي لعبوه في تاريخ

.....

(1) بدائع الفوائد (ص 47) (2) تفسير يس (ص 25) (3) تفسير ابن سعدي (ص 955)

الانسانية والمدنية وما يحملونه من حقد دفين للأجيال البشرية عامة ومن حب الاستعلاء بالاستئثار وكذلك لا يفهم الانسان سر اختصاص النصارى بالضلال الا اذا قرأ تاريخ المسيحية وما تعرضت له من المسخ والتحريف والغموض والالتباس منذ نشأتها وفي عهدها الباكر والدور الذي لعبه بولس في تطوير هذه الديانة وتلوينها بلون خاص والدور الذي لعبته الكنيسة في تلوين العقيدة النصرانية وتفسيرها وخضوع العالم المسيحي لجميع هذه العوامل والمؤثرات) (1). ممن ألف عن اليهود وفصل في ذكر صفاتهم ومكرهم د. محمد أديب الصالح في كتابه (اليهود في القران والسنة) في أربع أجزاء .

والله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء وفي بعض الآيات يذكر سبحانه وتعالى أسباب الهداية حتى يعرفه العباد فيسلكوه ويذكر أسباب الضلال حتى يتجنبوه كقوله تعالى : { فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ } [الأعراف : 30] فبين تعالى هنا سبب ضلا لهم لأنهم أبدلوا ولاية الله بولاية الشياطين فمن سلك هذا الطريق فانه سيضل كما ضل من قبله .ونظيره في القران {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ } [الطلاق :2- 3] فبين تعالى أن التقوى سبب للرزق والأمثلة كثيرة في القران الكريم .

(آمين) يشرع للقارئ بعد الفراغ من قراءة الفاتحة أن يقول (آمين) لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال النووي رحمه الله : (يستحب لكل قارئ في الصلاة كان أو في غيرها إذا فرغ من الفاتحة أن يقول " آمين ") (2) .والمشهور أن معنى آمين اللهم استجب .قال ابن حجر :(ومعناها اللهم استجب عند الجمهور) (3) . جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا امن الإمام فامنوا فانه من وافق تأمينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه) (4) . قال القرطبي رحمه الله في تفسيره تعليقا على هذا الحديث : (قال علماؤنا رحمة الله عليهم فترتبت المغفرة للذنب على أربع مقدمات تضمنها هذا الحديث , الأول : تامين الإمام الثانية تامين من خلفه الثالثة تامين الملائكة الرابعة موافقة التامين قيل في الإجابة وقيل في الزمن وقيل في الصفة) (5)

اخرج البخاري في صحيحه من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :(اذا قال احدكم آمين وقالت الملائكة في السماء آمين فوافقت احداهما الاخرى غفر له ماتقدم من ذنبه) (6) . وهذا يؤيد قول من قال ان المراد بالموافقة الزمن وهذا ظاهر والله اعلم . ورجح ابن حجر رحمه الله أن المراد بالموافقة هو الموافقة بالقول والزمان . (7) . قال ابن عطية رحمه الله : (والذي يترجح أن المعنى فمن وافق في الوقت مع خلوص النية والإقبال على الرغبة إلى الله تعالى بقلب سليم والإجابة تتبع حنيذ لان من هذه حاله فهو على الصراط

.....

(1) الأركان الأربعة (ص 40) (2) التبيان (ص 62) (3) الفتح (2 / 1109) (4) الحديث برقم (410) واللفظ لمسلم (5) تفسير القرطبي (1 / 110) (6) الحديث برقم (781) (7) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (2 / 307)

المستقيم) . (1). قال الشوكاني رحمه الله في النيل :(والمراد بالموافقة الموافقة في وقت التأمين فيؤمن مع تأمينهم , قاله النووي . قال ابن المنير : الحكمة في إيثار الموافقة في القول والزمان أن يكون المأموم على يقظة للإتيان بالوظيفة في محلها لان الملائكة لا غفلة عندهم فمن وافقهم كان متيقظا والمراد بالملائكة من يشهد تلك الصلاة) (2) .ونظير موافقة قول الامام ماورد عند البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(اذا قال الامام :سمع الله لمن حمده فقولوا : اللهم ربنا لك الحمد فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه) (3). حكى الألوسي رحمه الله في تفسيره (روح المعاني) الإجماع على أن (آمين) ليست من القران (4).قال الراغب :(آمين : يقال بالمد والقصر وهو اسم فعل نحو صه ومه)(5) وهي اسم فعل طلب بمعنى استجب يا رب . فهو نائب عن فعل الطلب كما عقده في الخلاصة :

ما ناب عن فعل كشتان وصه * هو اسم فعل وكذا أوه ومه

وما بمعنى افعل كآمين كثر * وغيره كوى وهيهات نزر

وقال السيوطي : ماناب عن فعل سما الفعل كصه * ومابمعنى افعل كثير نحو مه

وإنما قيل عن آمين إنها اسم فعل, وسماه بعض اهل اللغة فعلا خالفا, وليس فعلا لأنها لا تقبل علامة فعل الأمر وهي نون التوكيد والى هذا أشار ابن مالك رحمه ا الله في ألفيته المشهورة :

والأمر إن لم يك للنون محل فيه هو اسم نحو صه وحيهل .

أما النون التي في آمين فهي أصلية حتى لا يحصل لبس .قال ابن حجر :(وآمين من اسماء الافعال مثل صه للسكوت وتفتح في الوصل بالاتفاق مثل كيف وانما لم تكسر لثقل الكسرة بعد الياء) (6) .وفي آمين لغتان أمين بالمد على وزن قابيل وأمين بالقصر على وزن بصير والأول أشهر وأفصح وحكى الجوهري أن تشديد الميم خطا وقراءة (آمين) بتشديد الميم معناه قاصدين كما قال تعالى (ولا آمين لبيت الحرام) بمعنى قاصدين البيت الحرام ..وذكر النووي رحمه الله في التبيان أن القراءة بالتشديد غريبة جدا وان بعض الفقهاء قال : (من قراها بالتشديد في صلاته بطلت). وذكر الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – في الشرح الممتع نحوا من كلام النووي .قال الراغب :(والأم القصد المستقيم وهو التوجه نحو مقصود وعلى ذلك (آمين البيت اللحرام)(7) وقال لانه اذا شدد الميم فقد اتى بكلام من جنس كلام المخلوقين. (8) وذكرفي الفتح ان اهل اللغة خطؤوا من قرأها بالتشديد . قال ابن خالويه :(والاصل في امين القصر وانما مد ليرتفع الصوت بالدعاء .. ولا تشدد الميم في (آمين) فانه خطأ والعامة ربما فعلوا ذلك) (9) وقد توسع النووي في الكلام على (آمين) في (تهذيب الاسماء واللغات)

.....

(1) المحرر الوجيز(1 / 80)(2) انظر (2 / 249)(3) الحديث برقم (796)(4) روح المعاني(1 / 97)(5) المفردات (ص26)(6) الفتح (2 / 1109) (7) المفردات (ص24) (8) الشرح الممتع (3 / 68) (9) اعراب ثلاثين سورة من القران (ص 35)

و(المهذب) وذكر فيه ان (آمين) بالمد هو اشهرها واجودها وافصحها عند العلماء وبه جاءت روايات الاحاديث.وقال : (وهو المختار). وذكر لغات اخرى غير ماذكر .

وقيل إن (آمين) اسم من أسماء الله ولكن هذا القول لا يصح لوجهين :

1- أن أسماء الله توقيفية بمعنى أنه لا يجوز أن نسمي الله إلا بما سمى هو عز وجل به نفسه ولم يثبت أ ن آمين اسم من أسمائه حتى نسميه تعالى به.

2- انه لو كان من أسماء الله لبني على الضم كما تقرر في اللغة أن الاسم المفرد المنادى المعرف يبنى على الضم كما يقال (يا رحمن) بضم النون أو (يا رحيم) بضم الميم كما قرره ابن مالك رحمه الله في ألفيته :

وابن المعرّف **المنادى** المفردا على الذي في رفعه قد عهدا

نقل ابن الجوزي رحمه الله في تفسيره (زاد المسير في علم التفسير) عن ابن الأنباري رحمه الله عمن قال إن آمين اسم من أسماء الله تعالى : (وهذا القول خطا عند جميع النحويين لأنه إذا ادخل " يا " على " آمين " كان منادا مفردا فحكم آخره الرفع فلما أجمعت العرب على فتح نون آمين دل على انه غير منادى) (1) .وهذا الذي قاله ابن الأنباري يؤيد ما ذكرناه آنفا . وذكر العكبري رحمه الله في (التبيان في إعراب القران) (2) خطا من قال إن (آمين) من أسماء الله ورد عليهم بالوجهين المذكورين .(3) . قال الألوسي رحمه الله في روح المعاني عن آمين :(والصحيح أنها كلمة عربية معناها استجب ..... ومن العجيب ما قيل إنه اسم الله تعالى) (4)

وذكر عن الحسن البصري رحمه الله انه سئل عن (آمين) فقال معناه استجب لي ثم رد قول من قال إن آمين من أسماء الله بأنه جاء مبنيا وأسماء الله ليس فيها شيء مبني .

قال في الفتح :(وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى وراه عبد الرزاق عن ابي هريرة باسناد ضعيف وعن هلال بن يساف التابعي مثله وانكره جماعة) (5). ويظهر من كلام الحافظ في الفتح انه لايرى وجها لمن قال ان (آمين) اسما من اسماء الله تعالى .وسرد النووي في المجموع اقوال العلماء في معنى (أمين) وذكر ان الجمهور من اهل اللغة والغريب والفقه يرون ان معناها (اللهم استجب) وذكر قول من قال ان(آمين) اسم لله تعالى وقال :(ان هذا ضعيف جدا) وذكر البخاري في صحيحه ان عطاء قال :(آمين دعاء) . اخرج الحاكم في المستدرك ان با هريرة دعا

.....

(1) انظر (1 / 17) (2) كتب الشيخ الدكتور عمار امين الددو بحثا جيدا جمع فيه كتب اعراب افاتحة اسماه (كتب اعراب الفاتحة بين التقليد والتجديد دراسة منهجية مقارنة) والبحث منشور في مجلة الدراسات القرانية العدد (الثاني عشر)

(3) انظر (ص1 / 20) (4) انظر (1 / 97) (5) الفتح (2 / 1109)

فقال :(اللهم اني اسالك مثل الذي سالك صاحباي هذان واسالك علما لاينسى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(آمين)) قال الحاكم : صحيح الاسناد ولم يخرجاه .(1) .وهذا الحديث في اسناده حماد بن شعيب قال عنه الذهبي : ضعيف . وذكرته هنا لتقوية قول من يقول ان (آمين) معناها اللهم استجب كما يظهر من تأمين النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخفض صوته بآمين كما ورد عند الحاكم في المستدرك عن علقمة بن وائل عن ابيه انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : (غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ ٱلضَّآلّينَ). قال (آمين) يخفض بها صوته)(2) قال الحاكم : هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه .ووافقه الذهبي. وعند الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم مد صوته بآمين (3).واخرج الترمذي روايتي الرفع والخفض وذكر ان رواية الرفع بالصوت اصح من الخفض واطال الكلام على الروايتين في تحفة الاحوذي وذهب الى ان رواية رفع صوته اصح من الخفض.

وكان ابو هريرة – رضي الله عنه - حريصا على ادراك (آمين) مع الامام وكان يناديه (لاتفتني بآمين) كما في البخاري .وهذا فيه بيان فضيلة التامين لعله يوافق تامين الملائكة والصحابة كانوا يعرفون ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم وفيه حرصهم على ادارك مسببات المغفرة وتحصيل الخير والمسارعة الى الخيرات واغتنام الحياة قبل الممات والشباب قبل الهرم.

قال المناوي :(آمين صوت سمي به الفعل الذي هو (استجب ..وتشديد الميم لحن وربما فعله العامة) (4) وذكر ابن عبد البر في الاستذكار ان معنى آمين الاستجابة. وذكر بعض اهل اللغة ان آمين لم يسمع من كلام العرب تعديه لمفعول .

ومن الغرائب ما ذكره بعض علماء الآثار المصريين أن (آمين) معناها الله لما رأوا من التشابه بين لفظ (آمين) وأسماء بعض آلهة الفراعنة مثل (آمون) و(مينو) وهذا من الربط الغريب فكيف يشبهون الله بآلهة تعبد من دون الله . وهذا من اغرب ما رأيت في تفسير آمين. ويرد عليهم بالوجهين السابقين المذكورين آنفا. ومن الغريب أيضا أن بعض الناس المتأثرين بان لفظ (آمين) يرجع إلى أصل فرعوني يقولون كيف يقول المسلمون آمين وهذا اللفظ فرعوني ؟ ثم يستطرد فيقول ربما لإيجاب لهم دعاؤهم لأنهم يشركون بالله !!! ويرد عليه بان الشرع يؤخذ من مصادره القران والسنة الصحيحة وقد ورد في الصحيحين كما تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحث المسلمين على التامين خلف الإمام . وقد فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فاجتمعت السنتان القولية والفعلية فلا عبرة بقول غيره. وذات اللفظ (آمين) يستعمل

.....

(1) مستدرك الحاكم (6215) (2) المستدرك (2948) (3) (248)
(4) فيض القدير (1 / 103)

عند النصارى واليهود بنفس اللفظ تقريبا وبذات المعنى وقد صادف أن سمعت مسيحيا خارج السعودية يتلو صلواته فقال في آخر الدعاء (amen) بمعنى آمين أي استجب يا رب .

مما حصل لي أثناء زيارتي لدولة جنوب أفريقيا في مدينة كيب تاون التي يسكنها كثير من الاوربيين النصارى , أن صادفت شخصا نصرانيا وهو صاحب مكتبة فبعد أن دخلت المكتبة من اجل إلقاء نظرة على الكتب لعلي أعجب بكتاب فاشريه ويبدو أن صاحب المكتبة النصراني لاحظ أني غريب عن البلد فملامحي غريبة عليه وربما لساني :

ولكن الفتى العربي فيهم غريب الوجه والليد واللسان

ولست مسيحيا فلا صليب معلق في عنقي فحاول دعوتي إلى ديانته بشتى الطرق ثم تلا

شيئا من صلواته دون أن اطلب منه ذلك فلما انتهى قال (آمين) باللغة الانجليزية .(1)

وقد يسمى التامين دعاء. قال تعالى حكاية عن موسى وهارون عليهما السلام :(قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا) (يونس : 89) والداعي كان موسى وهارون يؤمن على دعائه فسمى الله تعالى تامين هارون دعاء . قال الطبري :(فإن قال قائل: وكيف نسبت " الإجابة " إلى اثنين و " الدعاء "، إنما كان من واحد ؟ قيل: إن الداعي وإن كان واحدًا ، فإن الثاني كان مؤمِّنًا، وهو هارون، فلذلك نسبت الإجابة إليهما، لأن المؤمِّن داعٍ). (2). قال ابن الانباري :(ويقال :(قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا) خطاب لموسى وهارون عليهما السلام لان موسى دعا وقال هارون : آمين فكان كالداعي لان تفسير آمين كذلك يكون واللهم استجب ... وقد استقصينا الكلام فيها في كتب " غريب الحديث ") (3) .

ذكر النووي في(المجموع) و الاشموني في(منار الهدى) استحباب قطع (آمين) من (ولا الضالين) لئلا يصل القران بما ليس منه كما انه يستحب قطع الاستعاذة من التسمية ومن اول السور لانها (الاستعاذة) ليست من القران وتقدم حكاية الاجماع على ان الاستعاذة و آمين ليستا من الفاتحة وانما وقع الخلاف في قرانية البسملة وهو مبسوط في كتب التفسير .

.....

(1) تفسير الطبري (6 / 289) (2) وقعت على مقال للشيخ ابي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري – عفا الله عنه – منشور في جريدة الجزيرة في عددها الصادر يوم الخميس بتاريخ 9 من ذي الحجة عام 1433 عدد رقم 14637 السنة 53 بعنوان (امين كلمة توقيفية) وقد توصل – عفا الله عنه – في نهاية مقاله ان المعنى المتفق عليه هو استجب ياربنا وماعدا ذلك اما ظنون واما تعبير بمعنى متقارب. (3) الاضداد (389)

بيان ما اشتملت عليه سورة الفاتحة من المعاني العظيمة

قال ابن رجب:(وهذه السورة العظيمة لها فضائل وخصائص عديدة ولم يثبت في فضائل شيء من السور اكثر مما ثبت في فضلها)(1)

تميزت سورة الفاتحة باعتبارها مطلع القران ببراعة الاستهلال وهو عند أهل البيان اخص أنواع البدايات الحسنة في الكلام لأن براعة الاستهلال هي السبب في إقبال السامع إذا كان حسنا أو إعراضه إذا كان غير ذلك .ووجه كون الفاتحة تميزت ببراعة الاستهلال أو حسن المطلع أنها اشتملت على جميع مقاصد الفران بأ وجز لفظ واشمله وابلغه على نحو يعجز البشر أن يأتوا بمثله . ومقاصد القران هي :

أولا:أثبات التوحيد بأنواعه الثلاثة :

توحيد الربوبية من قوله : { رَبِّ الْعَالَمِينَ }

توحيد الإلوهية من قوله : {للَّهِ } وهو إفراد الله بالعبادة

توحيد الأسماء والصفات من قوله : {الْحَمْدُ } ففيها إثبات صفات الكمال لله تعالى .

ثانيا :إثبات النبوة لأنه لا سبيل إلى معرفة الطريق المستقيم دون إرسال أنبياء إلى الخلق .

ثالثا :إثبات يوم القيامة ويدل عليه قوله تعالى : {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ }

رابعا :إخلاص العبادة لله تعالى وحده دون سواه من قوله تعالى : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }

خامسا :الإطلاع على أخبار الأمم السابقة وقصصهم من قوله تعالى : {غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ }.

قال الحسن البصري رحمه الله : (إن الله جمع الكتب المنزلة في القران وجمع علم القران في المفصل وجمع علم المفصل في فاتحة الكتاب) . قال السيوطي رحمه الله: (وبيان اشتمالها على علوم القران قرره الزمخشري باشتمالها على الثناء على الله بما هو أهله وعلى التعبد والأمر والنهي وعلى الوعد والوعيد وآيات القران لا تخرج عن هذه الأمور) (2) . .ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال : (لو شئت لأ وقرت سبعن بعيرا من فوائد الفاتحة).

ذكر الرازي رحمه الله في مقدمة تفسيره (مفاتح الغيب) (أن سورة الفاتحة ممكن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسالة فاستبعد هذا قوم من الحساد وقوم من أهل الجهل

.....

(1) تفسير الفاتحة (ص 35) (2) انظر أسرار ترتيب سور القران للسيوطي (ص 18)

والغي والعناد) ثم قال : (على أن ما ذكرناه ممكن الحصول قريب الوصول) فكان هذا سببا في تأليف الرازي كتابه في التفسير المعروف ب (مفاتح الغيب) أو (التفسير الكبير) وكان منافسا لتفسير الزمخشري. وقد استبعد آخرون غير الذين قصدهم الرازي رحمه الله قول الرازي رحمه الله وظنوا انه (الرازي) قصد بهذا القول مقارعة قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه السابق .

قال أبو حيان في تفسيره (البحر المحيط):

(وقد انجرّ في غضون تفسير هذه السورة الكريمة من علم البيان فوائد كثيرة لا يهتدي إلى استخراجها إلاّ من كان توغّل في فهم لسان العرب ، ورُزق الحظّ والوافر من علم الأدب ، وكان عالماً بافتتان الكلام ، قادرا على إنشاء النثار البديع والنظام وأما من لا إطلاع له على كلام العرب ، وجسا طبعه حتى عن الفقرة الواحدة من الأدب ، فسمعه عن هذا الفن مسدود ، وذهنه بمعزل عن هذا المقصود ، وفي هذه السورة الكريمة من أنواع الفصاحة والبلاغة أنواع:

النوع الأول : حسنُ الافتتاح وبراعة المطلع ، وناهيك حسناً أن يكون مطلعها مفتتحاً باسم الله ، والثناء عليه بما هو أهله من الصفات العليّة .

النوع الثاني : المبالغة في الثناء وذلك العموم (أل) في الحمد المفيد للاستغراق .

النوع الثالث : تلوين الخطاب في قوله : { الحمد للَّهِ } إذ صيغته الخبر ومعناه الأمر أي قولوا : الحمد لله .

النوع الرابع : الاختصاص باللاّم التي في (لله) إذ دلّت على أنّ جميع المحامد مختصة به تعالى إذ هو مستحق لها جلّ وعلا .

النوع الخامس : الحذف وذلك كحذف (صراط) من قوله تعالى : { غَيْرِ المغضوب عَلَيْهِم وَلاَ الضالين } التقدير : غير صراط المغضوب عليهم ، وغير صراط الضالين .

النوع السادس : التقديم والتأخير في قوله : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } وكذلك في قوله : { غَيْرِ المغضوب عَلَيْهِم وَلاَ الضالين } وقد تقدم الكلام على ذلك .

النوع السابع : التصريح بعد الإبهام وذلك في قوله تعالى : { أهدنا الصراط المستقيم * صِرَاطَ الذين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } حيث فسّر الصراط .

النوع الثامن : الالتفات وذلك في قوله : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * أهدنا الصراط المستقيم } .

النوع التاسع : طلب الشيء وليس المراد حصوله بل دوامه واستمراره وذلك في قوله تعالى : { اهدنا الصراط المستقيم } أي ثبتنا عليه .

النوع العاشر : التسجيع المتوازي وهو اتفاق الكلمتين الأخيرتين في الوزن والرّوي وذلك في قوله تعالى : { الرحمن الرحيم . . . الصراط المستقيم } وقوله

وقوله :{ نَسْتَعِينُ . . وَلاَ الضالين }.(1) وللشيخ ابن عثيمين راي اخر فيما ذكره في(البحر المحيط) فيما يتعلق ب (ثالثا) حيث ان الشيخ ابن عثيمين يرى ان { الْحَمْدُ للَّهِ } جملة خبرية محضة ليست بمعنى الأمر على خلاف ما يرى أبو حيان رحمه الله واستدل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله بالحديث القدسي (حمدني عبدي .) (2) وقال بمثل هذا القول في الجلالين . والألوسي والبغوي يرون أنها خبرية .(3) وابن عاشور يرى أن { الْحَمْدُ للَّهِ } إنشائية لا خبرية (4) ونحى النحاس في اعراب القران منحى من قال انها انشائية . ويمكن الجمع بين القولين بأن يقال إن {الْحَمْدُ للَّهِ } تتضمن الأمر بالحمد فان قلنا إنشائية فالأمر ظاهر وان قلنا خبرية فمن مقتضى {الْحَمْدُ للَّهِ } أن يحمد المسلم ربه تعالى والله اعلم .

ومن أوجه البلاغة في هذه السورة الكريمة (الإطناب) وهو (زيادة اللفظ على المعنى لفائدة) في قوله تعالى : {اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ } والغرض من الإطناب هنا الإيضاح بعد الإبهام حتى تتشوق النفس إلى معرفته فالله تعالى لما قال : {اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ } فإن النفس تتشوق وتذهب كل مذهب لمعرفة حقيقة هذا الصراط فنسال أنفسنا ما هو هذا الصراط ؟ فيأتي الجواب من الله تعالى موضحا ماهية هذا الصراط فيقع الجواب على النفس وهي متشوقة لمعرفته فيكون أكثر رسوخا في الذهن.قال الاخضري في منظومته , الجوهر المكنون, في علم المعاني والبيان والبديع :

وعكسه يعرف بالاطناب * ك(الزم رعاك الله قرع الباب)

يجيء بالايضاح بعد اللبس * لشوق او تمكن في النفس

ومن الأوجه البلاغية الأخرى في الفاتحة (إيجاز القصر) وهو(قلة الألفاظ مع كثرة المعاني) ومن أوجه إيجاز القصر تعليم الله لنا الحمد على النعم في قوله : { الْحَمْدُ للَّهِ } ونعم الله لا تعد ولا تحصى كما قال تعالى : { وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا } [إبراهيم : 34] . وقوله : { رَبِّ الْعَالَمِينَ } فيه إشارة إلى كل عالم ولا يعلم هذه العوالم إلا الله تعالى لأن { الْعَالَمِينَ } كل ما سوى الله من ملائكة وبشر وجن وغيرهم و العوالم منها ما هو غيبي لا نعلم كنه كالملائكة والجن ومنها ما هو معلوم لنا كالإنسان والحيوان.قال الاخضري في الجوهر المكنون:

وباقل منه ايجاز علم * وهو الى قصر وحذف ينقسم

ك (عن مجالس الفسوق بعدا) * ولا تصاحب فاسقا فتردى

.....

(1) انظر (1 / 152 – 153) (2) دروس الحرم المكي لعام (1409) الوجه الثاني (3) (انظر تفسير الأوسي (1 / 76) (4) انظر تفسير التحرير والتنوير (1 / 162) و (7 / 125)

وسور القران التي بدأت ب (الحمد لله) خمس سورهي : الفاتحة والانعام والكهف وسبأ وفاطر.وورد لفظ (الحمد لله) في القران في ثلاث عشرة موضعا في سياقات مختلفة .ولم يكتف القران بذكر (الحمد لله) مرة واحدة لان ورودها في كل موضع مختلف عن الاخر في السياق والدلالة فمرة يكون االفظ مذكورا في سياق الامتنان بانزال الكتاب كما في الكهف وتارة في سياق الامتنان بخلق السموات والارض كما في الانعام واخرى في سياق جعل الملائكة رسلا كما في فاطر وجاء لفظ (الحمد لله) في الفاتحة شاملا ذلك كله وهذا احد اوجه كونها ام القران لاشتمالها وتضمنها على كل ماجاء بعدها من السور اجمالا. ماجاء في الفاتحة مقدما في قوله تعالى :{ الْحَمْدُ للَّهِ } جاء مؤخرا في الجاثية في قوله تعالى :(فَلِلَّهِ الْحَمْدُ) (الجاثية : 36) وماجاء في الفاتحة هو الاصل كما ذكره الزركشي في البرهان.

وقوله: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } فيه إشارة إلى رحمة الله التي وسعت كل شيء ولا حدود لها.

وقوله : { مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } تشير إلى أحوال يوم القيامة وكل ما يتعلق بها من حشر ونصب

للصراط وعقاب وثواب وجنة ونار إلى غير هذه الأحوال التي لا يعلمها إلا هو عز وجل.

وقوله : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فيه الإرشاد إلى العبادة بكل وسائلها وكل ما يعين عليها وهي إتباع أوامره واجتناب نواهيه والأوامر والنواهي لا تعد ولا تحصى.

وقوله : { اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ } فيها دلالة على أن الإنسان يجب عليه أن يتبع أي طاعة توصله إلى الصراط المستقيم والطاعات الموصلة إلى الله كثيرة كالصلاة والزكاة والعلم والدعوة إلى الله وبر الوالدين وغيرها كثير حتى يكون من جملة اللذين انعم عليهم .

قوله : {غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } مشتملة على تحذير الله تعالى عن أي سبب موصل للطريق الذي سلكه المغضوب عليهم أو الضالون كترك العمل بعد العلم أو الجهل الموصل إلى الغي والضلال والأسباب الموصلة إلى هذا الطريق كثيرة كالجهل والكبر ورد الحق وترك العمل بعد العلم والانغماس في المعاصي وغيره كثير .

ومن أوجه البلاغة الأخرى (إيجاز الحذف) وهو (حذف كلمة أو حرف مع وجود دليل على المحذوف) كما مثل الرازي رحمه الله في {غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ } والتقدير غير صراط المغضوب عليهم فحذف صراط لأن المقام دل عليه فلا حاجة لتكراره كما قرره ابن مالك :

وحذف ما يعلم جائز كما تقول زيد بعد من عندكما

وبالإجمال فالفاتحة احتوت على ألفاظ قليلة بمعان كثيرة لا يستطيع احد أن يحيط بكل معانيها مهما أوتي من العلم وهذا احد أوجه الإعجاز في القران عموما وفي الفاتحة خصوصا .

بدأ الله تعالى كتابه الكريم بالبسملة وفي هذا تربية للمسلمين ببدء أعمالهم يبسم الله الرحمن الرحيم فينبغي أن نستشعر بركة البسملة عند البدء بأي عمل نعمله .وقد كانت العرب في الجاهلية يبدؤون أعمالهم بذكر أسماء إلهتهم فيقولون بسم اللات وبسم العزى وبسم هبل وكانت الأمم السابقة تبدأ أعمالها بذكر أسماء ملوكهم فنبذ القران هذا كله وأرشدنا إلى البداية ببسم الله

تعالى لما فيه من التبرك والاستعانة به تعالى دون سواه . والمقصود من التسمية ليس القول المجرد من المعاني بل تذكره بالقلب حتى نذكر عظمته ونعمه الظاهرة والباطنة علينا .كانت قريش قبل البعثة النبوية تكتب كتبها ب(باسمك اللهم) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب مثلهم (بسمك اللهم) حتى نزل قوله تعالى : { إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } فكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف فصل السور من القرآن حتى ينزل عليه (بسم الله الرحمن الرحيم).ويتفرع عن هذا جواز كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) في أول كل كتاب . اشتملت سورة الفاتحة – بالرغم من قصر آياتها – على معاني القران إجمالا فقد أجملت ما تم تفصيله في السور التي تلي في المفصل وجمع المفصل في الفاتحة قال الحسن البصري رحمه الله : (إن الله جمع الكتب المنزلة في القران وجمع القران في الفاتحة) فتناولت أصول الدين وفروعه ومقاصده الأساسية فقوله تعالى : {الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ } تضمن إثبات الحمد كله لله تعالى و والتوحيد بأنواعه الثلاثة : توحيد الألوهية (لله) وتوحيد الربوبية (رب) وتوحيد الأسماء والصفات {الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ } وما تضمنته هاتان الصفتان من إثبات الرحمة لله تعالى .فعند قراءة {الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } نتذكر جميع نعمه تعالى علينا من سمع وبصر ومال وصحة وغيرها من النعم الظاهرة والباطنة التي لا تعد ولا تحصى {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا } فنشكره عليها وعندما نقرأ { رَبِّ الْعَالَمِينَ } نتذكر عظمة الله وجبروته وربوبيته وخلقه لهذا الكون الفسيح المعجز فنرجو رحمته ونخاف عقابه .وفيها الثناء على الله تعالى وتعليم خلقه الأدب مع الخالق جل وعلا وكيف يقدمون الثناء بين يدي الدعاء لأنه ادعى للقبول . ذكر ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين أن الآية السابقة فيها إثبات النبوة من جهات عديدة :احدها : كونه رب العالمين فلا يليق به أن يترك عباده سدى هملا لا يعرفهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وما يضرهم فيهما فهذا هضم للربوبية .الثاني : أخذها من اسم (الله) وهو المأ لوه المعبود ولا سبيل للعباد إلى معرفة عباده إلا من طريق رسله .الموضع الثالث :من اسمه (الرَّحْمنِ) فان رحمته تمنع إهمال عباده .الموضع الرابع : من ذكر (يَوْمِ الدِّينِ) فإنه اليوم الذي يدين الله العباد فيه فيثيبهم على الخيرات ويعاقبهم على المعاصي وما كان الله ليعذب أحدا قبل إقامة الحجة عليه والحجة إنما قامت برسله وكتبه الموضع الخامس : من قوله : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } فإن ما يعبد به الرب تعالى لا يكون إلا على ما يحبه ويرضاه لكن طريق التعبد به لا سبيل إلى معرفته إلا برسله وبيانهم .الموضع السادس : من قوله : {اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ } فالهداية هي البيان والدلالة ثم التوفيق والإلهام ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرسل . انتهى

جاءت آية { الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } بعد البسملة لأن البسملة اشتملت على نعمة الرحمة فناسب أن تشكر هذه النعمة بالحمد لله رب العالمين .ولله أن يحمد نفسه على كمال ذاته وصفاته وأسمائه وعلى ما أبدع في الخلق كما قال تعالى : {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ } [السجدة : 7] وقال تعالى في موضع آخر : {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ } [النمل : 88] فلا ند له سبحانه ولا مضاهي له في خلقه فلا احد يستطيع أن يخلق كخلقه ولو اجتمعت الإنس والجن وكان بعضهم لبعض ظهيرا . فلما حمد تعالى نفسه بما ينبغي أمر خلقه بحمده كما في هذه الآية {الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } وكذلك الملائكة فهم حامدون لله

كما قال تعالى عنهم: {وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ } [الشورى :5] ثم جاء الأمر لنبي صلى الله عليه و سلم و للمؤمنين {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ } [الطور : 48] وكل شيء يسبح بحمد الله أيضا كما قال تعالى : {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ ۦ لَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } [الإسراء : 44] فمنهم من نعي تسبيحه ومنهم من لا نعي تسبيحه .قال ابن القيم رحمه الله في نونيته المشهورة عن حمد الله تعالى وأنه مستحق لجميع أنواع المحامد من كل وجه :

وهو الحميد فكل حمد واقع أو كان مفروضا مدى الأزمان

ملأ الوجود جميعه ونظيره من غير ما عد ولا حسبان

هو أهله سبحانه وبحمده كل المحامد وصف ذي الإحسان.

فالله تعالى محمود على ما تفضل به علينا من النعم التي لا تعد ولا تحصى ثم على ستره تعالى على عيوبنا ونقائصنا وسيئاتنا ثم على تجاوزه على كثير منها ثم على قبول توبة من تاب بعد تحقيق شروط التوبة . وهو تعالى محمود بعد الدنيا في الآخرة على تفضله على عباده بغفران الذنوب ودخول الجنة وتمكين أهل الجنة من رؤيته تعالى ودخولهم الجنة بفضله تعالى لا بعملهم كما ورد بذلك الحديث عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه لن يدخل الجنة احد بعمله بل بفضل الله ورحمته قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا إنا إلا أن يتغمدني الله برحمته .وبنزع الغل من قلوب المؤمنين {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ } [الحجر :48] فهو تعالى محمود على كل هذه النعم ما علمنا منها و ما لم نعلم.وذهب الزمخشري في تفسيره الى ان دخول الجنة بمحض اعمال اهلها وليس بالتفضل ورمى من قال ان دخول الجنة بالفضل بأنهم مبطلة.وهذا موافق لعقيدة الاعتزال التي يعتقدها.وهذا في مصادمة النص النبوي فيكون فاسد الاعتبار فلا عبرة به.وحمد الله على نعمه من كمال التأدب مع الله تعالى فمن أسدى إلينا نعمة استحق الشكر عليها فكيف بالله تعالى وقد أسدى إلينا نعما لا تعد ولا تحصى فليس من الأدب في شي إلا نشكره على آلائه الكثيرة.وهذه النعم شملتنا منذ أن كنا في بطون أمهاتنا إلى الآخرة فهي نعم لا تعد ولا تحصى. وتضمن قوله : {رَبِّ الْعَالَمِينَ } وجود عوالم أخرى فلسنا وحدنا في هذا العالم فهناك عوالم أخرى مرئية لنا كعالم الحيوان وغيره وهناك عوالم غيبية كعالم الملائكة وهذا يشعرنا بالاستئناس. ويدل خلق كل هذه العوالم على عظمة الله تعالى فلا احد غيره يستطيع خلق ما خلق الله وهذا من كمال ربوبيته وألوهيته عز وجل .

وتضمن قوله تعالى : {الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ } غاية الرحمة بكل الخلائق وفيها من البلاغة مجيئها وسطا بين آيتين فيهما جبروت وهما {رَبِّ الْعَالَمِينَ } و {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } لتزيل الرهبة من قلوب العباد ليعيش المسلم بين الخوف والرجاء فيطمع برحمته وهذا هو الرجاء ويخشى عقابه وهذا هو الخوف فلا يقنط من رحمة الله حتى لا يصيبه اليأس { إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ } {يوسف : 87] ولا يركن إلى الدنيا حتى لا يتجرأ على المعاصي وينسى آخرته وقد تقدم قول الإمام احمد رحمه الله (يجب أن يعيش المسلم بين الخوف والرجاء

أيهما غلب على الآخر هلك صاحبه) قال تعالى : {غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ } [غافر :3} .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ، ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ، ما قنط من جنته أحد) رواه مسلم (1) . وربما يدخل هذا في التوسط الذي جعله الله من صفات هذا الأمة {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } [البقرة :143] وهذه لطيفة من لطائف سورة الفاتحة . وكان من سنتة النبي صلى الله عليه وسلم العيش بين الخوف والرجاء لما ورد عند الترمذي من حديث خباب بن الارت عن ابيه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فاطالها قالوا : يارسول الله , صليت صلاة لم تكن تصليها , قال : (اجل انها صلاة رغبة ورهبة اني سالت الله فيها ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة , سالته ان لايهلك امتي بسنة فاعطانيها وسالته ان لايسلط عليهم عدوا من غيرهم فاعطانيها وسالته ان لايذيق بعضهم باس بعض فمنعنيها) (2) فقوله صلى الله عليه وسلم :(انها صلاة رغبة ورهبة) أي صلاة رجاء وخوف . والنبي صلى الله عليه وسلم تخلق بنحو قوله تعالى :(وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا) (الاعراف : 56). وقوله عز وجل :(يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا) السجدة : 16) وتضمن قوله : {الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ } أن كل علم علمه الله بني ادم ليدرك به منافعه الدينية والدنيوية فإنه من رحمة الله تعالى بخلقه قال تعالى : { تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُواْ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } [المائدة :4]. فامتن الله تعالى على عباده أن علمهم العلوم التي يدركون بها مصالحهم الدنيوية .ويشمل هذا كل العلوم التي سهلت على البشر حياتهم من العلوم الحديثة . قوله تعالى { : مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } تضمنت إثبات الملك لله تعالى وحده لا ينازعه فيه احد وتفرده بالحكم. وانه تعالى هو المالك الحقيقي وله الملك المطلق الدائم والبشر وان كانوا يمكلون فان ملكهم انما يكون بتمليك الله لهم وهو مع هذا ملك ناقص نسبي غير دائم. اخرج مسلم في صحيحه ان اباهريرة كان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يقبض الله تبارك وتعالى الارض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : انا الملك اين ملوك الارض)(3) وعند مسلم من حديث عبد الله ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك , اين الجبارون ؟ اين المتكبرون ؟ ثم يطوي الارض بشماله ثم يقول : انا الملك , اين لجبارون؟ اين المتكبرون ؟) (4). وورود (مالك) بقراءة اخرى وهي (ملك) يتضمن ان أي عبادة اذا وردت على وجوه متنوعة ان تفعل جميع هذه الاوجه لانه اشمل في الاتباع ولان فيه حفظا لتلك العبادة الواردة على اكثر من وجه ولان القلب يكون أكثر حضورا اذا فعل العبادة بوجوه مختلفة فمن استمر على وجه واحد فربما ذهب حضور قلبه بسبب التعود والتكرارفأصبح كالآلة دون شعور ويستثنى من هذه القاعدة اذا خشيت الفتنة كما لو قرأ شخص عند عوام بقراءة لم يعهدوها فالأفضل حينذ قراءة ماعرفت العوام خشية الفتنة ودرءا للمفسدة.وقد اشار الشيخ ابن عثيمين في منظومته في اصول الفقه الى هذه القاعدة فقال :

(1) الحديث برقم (2755) (2) الحديث برقم (2175) (3) الحديث برقم (2787)

(4) الحديث برقم (2788)

وافعل عبادة اذا تنوعت وجوهها بكل ماقد وردت

لتفعل السنة في الوجهين وتحفظ الشرع بذي النوعين

وهل يجوز الجمع بين قرائتين في نفس القراءة كمن يجمع بين (مالك) و (ملك) ؟ قال النووي – رحمه الله - :(اذا ابتدا بقراءة احد القراء فينبغي الا يزال على القراءة بها مادام الكلام مرتبطا فاذا انقضى ارتباطه فله ان يقرا بقراءة اخر من السبعة والاولى دوامه على الاولى في هذا المجلس) (1). قال ابن الجوزي – رحمه الله - :(ومنهم من يجمع القراءات فيقول مالك وملك وملاك وهذا لايجوز لانه اخراج للقران عن نظمه) (2). وقد توسع ابوالحسن علي بن سليمان القرطبي في كتابه (ترتيب الاداء وبيان الجمع والا قراء) وهذا ليس القرطبي صاحب التفسير المشهور المعروف بالجامع لاحكام القرانن .

وينبغي التنبه الى انه اذا كانت القراءة بروايتين تؤدي الى فتنة او لبس كما لو كان المستمعون او بعضهم عواما فانه ينبغي او يتاكد عدم قراءة مالم تتعود عليه العامة دفعا للمفسدة وخوفا من الفتنة وقد تقدم ان درء المفسدة ودفع الفتن من مقاصد الشرع . يدل لهذا مااخرجه البخاري في صحيحه أن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشأم في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق قال ابن شهاب وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فألحقناها في سورتها في المصحف)(3). قال ابن حجر في الفتح :(وفي رواية يونس " فتذاكروا القرآن ، فاختلفوا فيه حتى كاد يكون بينهم فتنة " ، وفي رواية عمارة بن غزية أن حذيفة قدم من غزوة فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان فقال : يا أمير المؤمنين أدرك الناس ، قال : وما ذاك ؟ قال : غزوت فرج أرمينية ، فإذا أهل الشام يقرءون بقراءة أبي بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق, وإذا أهل العراق يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام, فيكفر بعضهم بعضا) وهذا يدل ان عثمان – رضي الله عنه – جمع القران في مصحف واحد خشية الفتنة.وللخلفاء الراشدين سنة متبعة كما جاء بذلك الحديث (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين).

.....

(1) التبيان (ص 46)(2) تلبيس ابليس (ص 113)(3) الحديث برقم (5987)

قال ابن رجب :(فأجمع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في عهد عثمان على جمع الامة على حرف واحد خشية ان تختلف هذه الامة في كتابها كما اختلف الامم قبلهم في كتبهم ورأووا ان المصلة تقتضي ذلك وحرقوا ماعدا هذا الحرف الواحد من المصاجف وكان هذا من محاسن امير المؤمنين عثمان – رضي الله عنه – التي حمده عليها علي وحذيفة واعيان الصحابة) (1) .

قال الداني :

وولي الناس الرضى عثمان	وبايع الكل له ودانوا
فحضهم معا على الجهاد	فانبعث القوم على ميعاد
وقصدوا مصححين النية	نحو اذربيجان وارمينية
فاجتمع الشامي والعراق	في ذلك الغزو على وفاق
فسمع البعض قراءة البعض	فقابلوا قرائتهم بالنقض
واختلفوا في اخرف التلاوة	حتى بدت بينهم العداوة
ووصل الامر الى عثمان	اخبره حذيفة بالشان
وما جرى بينهم هناكا	وما راى من امرهم في ذاكا
وقال : هذا الامر فادركه	فهو معضل فلا تتركه
فجمع الامام من في الدار	من المهاجرين و الانصار
وقال قد رايت امرا فيه	مصلحة و هو ما احكيه
فارتفع الخلاف في التلاوة	و زالت البغضاء و العداوة
من ذلك العصر الى ذا العصر	بكل قطر و بكل مصر
فهذه القصة في المصاحف	كما رواها خالف عن سالف (2)

.....

(1) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب (2 / 620) (2) الارجوزة المنبهة (ص 110 -111 - 113 – 114)

توسع الشاطبي في الموافقات في الكلام على مقاصد الشرع .والاولى عدم الجمع بين القرائتين مالم تكن حاجة كدارسي علم القراءات.وربما يستدل لهذا ان العبادات الواردة على اوجه مختلفة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول واحدا منها في ذات العبادة كدعاء استفتاح الصلاة فانه ورد على اوجه مختلفة وكان النبي صلى الله عليه وسلم لايزيد عن ذكر واحد في نفس الصلاة وربما يستدل بدليل اخر وهو ان ابا هريرة – رضي الله عنه – لما سال النبي صلى الله عليه وسلم مايقول بين اسكاته وتكبيرة الاحرام ؟ قال صلى الله عليه وسلم : اقول : (اللهم باعد بين وبين خطايا كما باعدت بين المشرق والمغرب , اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب ابيض من الدنس , اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد) (2).وجه الاستدلال ان ابا هريرة لما سال النبي صلى لله عليه وسلم مايقول ذكر له استفتاحا بصيغة واحدة ولم يذكر له أي صيغة اخرى مع ثبوت صيغ اخرى فهذا فيه اشارة الى انه لاينبغي الجمع بين الصيغ الواردة في نفس العبادة (2). ودليل ثان وهو انه لو كان من الافضل الجمع لفعله الرسول صلى الله عليه وسلم لانه مشرع ونقل الينا وهذا من تمام حفظ الشرع وقد تكفل الله بحفظه ولانه عبادة والاصل في العبادات المنع الا ما كان عليه دليل ,ولا يقال انه حرام او من فعل ذلك يأثم لان القول بالتحريم وتأثيم الناس يحتاج الى نص صريح ولانص صريح في هذه المسالة فيما اعلم. وذكر النووي في المجموع ان بعض العلماء جوز الجمع .وذكر ابن مفلح في الفروع ان ابن هبيرة والموفق اختارا جواز الجمع. واذا خيفت الفتنة تاكد المنع كما تقدم ويستثنى من ذلك مادل الدليل على جواز جمعه كما ذكر ابن رجب في قواعد من جواز جمع صيغ التشهد كما ورد عند البخاري .(3) والله اعلم.(4)

قال ابن حجر:(وقال ابن القيم ايضا : قد نص الشافعي على ان الاختلاف في الفاظ التشهد ونحوه كالاختلاف في القراءات ولم يقل احد من الائمة باستحباب التلاوة بجميع الالفاظ المخالفة في الحرف الواحد من القران وان كان بعضهم اجازه للتمرين انتهى) (5)

.....

(1) الحديث اخرجه البخاري برقم (744) (2) انظر الشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين – رحمه الله- (3 / 52) (3) انظر حديث (3370) (4) انظر قواعد ابن رجب (1 / 66) (5) فتح الباري (12 / 7063)

وتضمن أيضا انه عز وجل سيحكم بين عباده بعد انقضاء الدنيا بالعدل فينصف المظلوم من الظالم , ليس بين البشر فقط بل حتى بين الحيوانات حتى لا يبقى لأحد عند احد مظلمة .ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة , حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء " وهذا من كمال عدله ورحمته سبحانه وتعالى .ومجيء {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } بعد: {الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ } فيه ترهيب بعد ترغيب فقوله: {الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ } فيه معنى الأمل والطمأنينة في قلوب الناس حتى لا يتسرب اليأس والقنوط إلى قلوبهم و {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } فيه معنى الوعيد الذي يبعث الخوف والحذر من ارتكاب الآثام وفيه الحث على التوبة حتى لا يكونوا عرضة للعقوبة في ذلك اليوم العظيم فهاتان الآيتان فيهما تربيته تعالى لعباده بالترغيب والترهيب .قال تعالى : { نبئ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ } [سورة الحجر :49- 50]. وتأمل قوله تعالى: {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } ولم يقل يوم القيامة وفي هذا لطيفة من لطائف الفاتحة أشار إليها الألوسي رحمه الله في تفسيره فقال : (وإنما قال مالك يوم الدين ولم يقل مالك يوم القيامة مراعاة للفاصلة وترجيحا للعموم فان الدين بمعنى الجزاء يشمل جميع أحوال القيامة من ابتداء النشور إلى السرمد الدائم بل يكاد يتناول النشأة الأولى بأسرها على أن يوم القيامة لا يفهم منه الجزاء مثل يوم الدين) (1).

وينبغي عند قراءة هذه الآية {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } تذكر أهوال يوم القيامة كالحشر واقتراب الشمس من الرؤوس والمشي على الصراط فتذكر مثل هذه الأشياء باعث على التقرب إلى الله بفعل الطاعات وترك المعاصي . ويستفاد من قوله تعالى : {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } الرد على منكري البعث كالشيوعيين ومن سار على نهجهم لأن الدين هو يوم القيامة الذي يكون فيه الحساب . وتضمنت الآية الكريمة أنه لا ملجأ منه إلا إليه وأنه ينبغي طلب اللجوء إليه دون سواه لأنه تعالى هو الملك الحقيقي القادر على النفع والضرر. وتضمنت أيضا معنى التخويف لأن الملك يكون دائما مرهوب الجانب لسلطته وجبروته .وتضمنت كذلك انه تعالى له كامل الحق في الأمر والنهي { لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ } [الروم :4] وكامل الحق في الثواب والعقاب وكامل الحق في التصرف بملكه سبحانه وتعالى . وديان يوم الدين يدين الناس بأعمالهم لا بمناصبهم او مراكزهم او جاههم او اموالهم فمناط الحكم عليهم سيكون عملهم لاغيره.قال النبي صلى الله عليه وسلم :(ان الله لاينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم)(2)

والايمان باليوم الاخر من اعظم الايمان بالغيب فمن استقر في قلبه الايمان باليوم الاخر اقبل على فعل الطاعات وابتعد عن فعل المحرمات لان العلم بالورود على الشي يورث الاستعداد له وهذا من ثمرات الايمان باليوم الاخر وقد تقدم الكلام على بعضها .

.....

(1) تفسير الألوسي (1 / 85) (2) اخرجه مسلم برقم (2564)

وتضمنت الآية الكريمة أن العبد سينتقل من دار الدنيا إلى الدار الآخرة وأن الدنيا ما هي إلا معبر نحو الآخرة وهي دار القرار . وفي قوله تعالى :{مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } إشارة إلى وجوب الاستعداد ليوم الجزاء والحساب والإحساس بالمسؤولية تجاه هذا اليوم العظيم الذي يحاسب فيه الجميع إن خيرا فخيرا بفضل الله وان شرا فشرا بعدله تعالى أو يعفى عنه بفضله تعالى يوم لا مفر منه إلا إليه . ويتضمن الإيمان باليوم الآخر الإيمان عذاب القبر ونعيمه وفتنة القبر وهي سؤال الميت بعد دفنه لأن من مات فقد قامت قيامته ويتضمن أيضا الإيمان بحياة البرزخ.
ويتضمن قوله تعالى {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } كمال حكمته تعالى حيث جعل للخلق يوما يحاسبون عليه فهم لم يخلقوا عبثا . قال تعالى: { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } [سورة المؤمنون :115]. فيعذب المسيء بعدله إن شاء أو يغفر له برحمته ويجازي المحسن بالإحسان بفضله .

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

1- الإيمان بالبعث

2-الإيمان بالحساب والجزاء

3-الإيمان بالجنة والنار

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات نذكر منها :

1- زيادة الإيمان .قال تعالى : { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ } [محمد :17] . فالهداية سبب لزيادة الهدى والتقوى كما نصت عليه هذه الآية الكريمة .

2- أن الإيمان باليوم الآخر سبب لمعرفة الله ورسوله صلى الله عليه واله وسلم . أما وجه كونه سببا لمعرفة الله فلأن الله تعالى هو مالك يوم القيامة وهو المتصرف فيه سبحانه وتعالى فلا ملك في ذلك اليوم إلا هو ولا آمر ولا ناه إلا هو تعالى فيعذب من يشاء بعدله ويغفر لمن يشاء بفضله ويجازي المحسنين بالحسنى فمن عرف من هذه صفاته رغب في معرفته سبحانه وتعالى . ووجهه كونه سببا لمعرفة الرسول صلى الله عليه وسلم فلأن الله تعالى اختصه بصفات في الدنيا والآخرة ليست لأحد من البشر فمن خصائصه عليه الصلاة والسلام يوم القيامة انه هو الشافع المشفع كما ورد ذلك في السنة أن الخلق يذهبون إلى ادم عليه السلام باعتباره أبا للبشر حتى يشفع لهم عند الله

فيقول اذهبوا إلى نوح فيذهبون إلى الأنبياء واحد تلو الآخر حتى ينتهوا إلى النبي محمد

عليه الصلاة والسلام فيشفع عند الله تعالى .(1) ومما اختص به عليه الصلاة والسلام أنه صاحب الحوض المورود من شرب منه شربة فلا يعطش أبدا فمن عرف من هذه صفاته يوم القيامة رغب في معرفته عليه الصلاة والسلام.

3- الرغبة في فعل الطاعات طمعا في ثواب رب العالمين في يوم القيامة وما أعده الله من النعيم في الجنة التي فيها مالا عين رأت ولا خطر على قلب بشر. قال تعالى : { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سورة السجدة :17].

3- ا لبعد عن فعل المعاصي لأن من عرف النار وعذابها الكائن يوم القيامة كانت معرفته باعثا قويا على اجتناب الأسباب المؤدية إلى دخول النار.

5 - التخفيف على المؤمن وتسليته في الدار الدنيا عما يفوته من نعيمها بما يرجوه من نعيم الآخرة فإذا علم المؤمن أن الدنيا زائلة بنعيمها وملذاتها كان في هذا تسلية له وتخفيف عليه . قال تعالى : {وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [العنكبوت :64] . فالآخرة هي الدار الحقيقة لأنها دائمة وليس فيها منغصات على أهل الجنة .

إزالة الغفلة عن القلب فمن عرف الآخرة وأعد لها سعيها فقد زالت غفلته ومن لم يعرفها ولم يسع لها سعيها فهو في غفلة عن آخرته التي سيردها حتما .

{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } تضمنت إخلاص العبادة لله وحده والتبرؤ من الشرك و الحث على الاستعانة به وحده والاعتماد عليه دون سواه وهذا يستفاد من تقديم المعمول وهو {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } لأن تقديم المعمول يفيد الحصر كما هو معروف في اللغة . ويستفاد أن الطريق الموصلة إليه تعالى هي عبادته ثم الاستعانة به, وان عبادته تعالى على الوجه المطلوب لاتتحق الا بالاستعانة به عز وجل دون سواه , وفيها الحث على روح الجماعة لقوله : {نَعْبُدُ } بصيغة الجمع ولم يقل : (أعبد) بالإفراد وفيها ألا نستعين إلا بمن يستحق العبادة وفيها إشارة إلى أن الإنسان لا يستطيع أن يعبد الله تعالى إلا بالاستعانة به والاعتماد عليه . ويستفاد من قوله تعالى : {وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } أنه ينبغي على العبد أن يستحضر انه مستعين بالله أثناء تأدية أية عبادة وهذا مأخوذ من تقديم المعمول : { إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } لأنه يفيد الحصر كما تقدم . وأطلقت الاستعانة هنا ولم تقيد لتشمل الاستعانة عليه تعالى في كل شي كالاستعانة في الصبر على أداء العبادة والاستعانة في الصبر على متاعب الدنيا والاستعانة في الصبر على طلب العلم وغيره .وفيها أيضا عظم العبادة لأن الاستعانة لا تطلب إلا على أمر عظيم وفيها بيان كرم الله وفضله على عباده أن يعينهم على عبادته و هو تعالى غني عنها فالعبادة لصالح العابد لأنه يثاب عليها فالله غني عن الخلق . يدل لهذا قوله تعالى في سورة العنكبوت : {إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } وتأمل كيف أكد الله غناه عن العالمين بمؤكدين اثنين : (إن) المذكورة

.....

(1) الحديث عند البخاري برقم (7510)

في أول الآية و(اللام) الداخلة على الخبر كقولك إن زيدا لكريم , لتأكيد كرم زيد وهي ما تسمى عند النحويين باللام المزحلقة . ويدل عليه أيضا ما أ خرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربِه عز وجل أنه قال : (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته ،فاستطعموني أُطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليلِ والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أفجرِ قلب واحد منكم ما نقص من ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما اعندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عِبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) (1) .

جميع الرسل دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له .قال الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : {مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } [الأعراف : 59]. وقال تعالى : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِين } [لنحل : 36] . وقال تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء : 25] والآيات في هذا الباب كثيرة . ويستفاد من مجيء { إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } بعد { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } ليعلم العابد أن عبادته إنما حصلت بفضل استعانته بالله وتوفيقه فلا يدخله غرور أو عجب بنفسه . والعبادة حق لله على العباد كما ورد بذلك الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال : النبي صلى الله عليه وسلم : (يا معاذ , أتدري ماحق الله على العباد ؟ قال : الله ورسوله أعلم قال : " أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا . أتدري ماحقهم عليه ؟ قال الله ورسوله أعلم .قال ألا يعذبهم .) رواه البخاري(2).وليس للعباد حق على الله تعالى ولكنه تفضل ورحمة وكرم منه تعالى يوجب الشكر وهو من كمال عدله وفضله تعالى أن يقابل الإحسان بالإحسان. والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور :

1- الإيمان بوجوده

2- الإيمان بألوهيته

3- الإيمان بربوبيته

.....

رقم الحديث (2577) (2) الحديث برقم (7373)

4- الإيمان بأسمائه وصفاته . (1)

وللإيمان بالله ثمرات نذكر منها :

1- تحقيق التوحيد الذي هو الغاية من الخلق .قال تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات :56] .

2- التخلص من رق المخلوقين والتعلق بعبودية الله وحده .

3- الحصول على الفلاح في الآخرة .

4- الفوز برضا الله تعالى .

5- الطمأنينة في الدنيا وانشراح الصدر .

6- اكتساب العلم فمن عرف العبادة سأل عن طريقها وهو العلم فلا عبادة إلا بعلم .وهناك ثمرات أخرى كثيرة .

قال السيوطي: (قوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } فيه الارشاد الى تقديم الخضوع والتذلل على طلب الحاجة) (2) (3)ولقوله تعالى : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } منازل كثيرة فصل القول فيها ابن القيم رفي كتابه (مدارج السالكين) ولولا خوف الاطالة لذكرتها مختصرة .

{اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ } فيها افتقار العبد إلى الله تعالى فلا سبيل إلى الهداية إلى الطريق المستقيم الذي لاعوجاج فيه إلا بتوفيق الله وعونه ولا سبيل إلى سعادته وفوزه في الدنيا والآخرة إلا بالاستقامة على صراط الله المستقيم وان بعد العبد عن ربه سيجعله يسلك الطريق المعوج الموصل إلى جهنم – أعاذنا الله جميعا منها . قال بعض العلماء : (جعل الله عظم الدعاء وجملته موضوعا في هذه السورة , نصفها فيه مجمع الثناء , ونصفها فيه مجمع الحاجات وجعل هذا الدعاء الذي في هذه السورة أفضل من الذي يدعو به الداعي لأن هذا الكلام قد تكلم به رب العالمين فأنت تدعو بدعاء هو كلامه الذي تكلم به) (4). وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول في دعاء الليل :(اللهم اهدني الصراط المستقيم) (5) قال ابن رجب :(والشان كل الشأن في الاستقامة على الصراط) (6)

.....

(1) انظر شرح أصول الإيمان للشيخ ابن عثيمين رحمه الله (ص 13) (2) الاكليل في استنباط التنزيل (ص 52) (3) توسع الشيخ عبد العزيز بن ناصر الجليل في الكلام على (اياك نعبد واياك نستعين) في كتابه (وقفات تربوية في ضوء القران الكريم ج 2) فافرد رسالة كاملة وتوسع قبله ابن القيم فافرد اربع مجلدات في كتابه (مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين) (4) تفسير القرطبي (1 / 127 – 128) (5) الحديث عند مسلم برقم (770) (6) المحجة في سير الدلجة (65)

ويستفاد من هذه الآية أن من سلك الطريق المستقيم في الدنيا سهل الله له السير على الصراط المنصوب على جهنم يوم القيامة بقدر استقامته على صراط الدنيا المستقيم . فينبغي للمسلم أن يعرف ما يقربه من الصراط المستقيم من أسباب ودواعي وسبل فيعمل بها حتى يكون إلى صراط الله المستقيم أقرب وبرضاه أولى وعن صراط الشيطان المعوج ابعد وعن شره ابعد واسلم فصراط الله المستقيم يكون بإتباع أمره واجتناب نهيه وهو شعب بينها الرسول صلى الله عليه واله وسلم فقال فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا اله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان) (1) . فبين الرسول صلى الله عليه وسلم شعب الصراط المستقيم أعلاه وهو الشهادة واقلها وهو إماطة الأذى عن الطريق وباقي الأعمال تدخل بين هذين العملين .وسلوك الطريق المستقيم يكون بالقول والعمل والاعتقاد . ثم إن الناس في سلوك هذا الطريق المستقيم قد انقسموا فمنهم من استقام عليه وسلكه بجميع شعبه الظاهرة والباطنة , القولية والفعلية والعقدية فكان من أفضل عباد الله بسلوكه الصراط المستقيم وتركه الصراط المعوج وهؤلاء النبيون والملائكة ومن عبد الله حق عبادته وهم الذين قال الله فيهم : {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ } [فصلت :30] فيمرون فوق الصراط بسهولة لأنهم اجتازوا الصراط المستقيم في الدنيا فكان جزاؤهم بمثل ما عملوا . كم قال تعالى : {هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } [الرحمن :60] وهذا من كمال فضله تعالى عليهم ورحمته بهم , ومنهم من سلك الطريق المستقيم ولكن أقل درجة ممن سبق ذكرهم فعملوا الواجبات وتركوا المحرمات ولكن لم يعملوا بالسنن والمستحبات فهؤلاء يمرون فوق الصراط ولكن أبطأ ممن قبلهم . ومن الناس من خلط بين الصراطين فسلك بعضا من صراط الله المستقيم وبعضا من صراط الشيطان المعوج وهم الذين قال الله فيهم : (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [التوبة : 102] فهذا النوع سيثاب على فعله الحسنات ويبقى عقاب السيئات إلى الله تعالى إن شاء عذبهم بعدله وان شاء غفر لهم بفضله . وأسوأ هذه الأصناف من سلك طريق الشيطان ولم يأت شيئا من أعمال الخير فنكب عن الصراط المستقيم اجمعه فهم الناكبون في النار بإعمالهم . وقد أمر الله تعالى عباده بالاستقامة فقال تعالى : {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [سورة هود :112] . والاستقامة على الصراط المستقيم في الدنيا والبعد عن صراط الشيطان يحتاج إلى علم حتى نعرف الصراط المستقيم فنتبعه ونعرف الصراط المعوج فنتجنبه ونحتاج إلى صبر ومجاهدة للنفس الأمارة بالسوء {إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ } [يوسف : 53] . ثم بعد ذلك نحتاج إلى دعاء الله الثبات على الصراط المستقيم لان الإنسان لا يدري ما يختم له به فكم من إنسان حسن الإسلام عظيم الأعمال نكب عن الصراط المستقيم وكم من فاجر كفار هداه الله إلى الصراط ا لمستقيم ونجاه من الصراط المعوج فالأعمال بالخواتيم . فقد ورد عند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا يوم خيبر قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم إنه من أهل النار وكان الرجل يقاتل في سبيل الله حتى أثخنته الجراح فارتاب بعض الصحابة رضي الله عنهم فجاؤوا

.....

(1) رقم الحديث (58)

إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يخبرونه أن الرجل الذي قال عنه إنه من أهل النار يقاتل ويستبسل في القتال وإنه مثخن بالجراح فقال لهم صلى الله عليه وسلم (هو في النار) فلما شعر المقاتل بكثرة جراحه ودنو اجله انتحر بسهم من سهامه . (1) . وفي الحديث الآخر (عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال : (إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون علقةً مثل ذلك ، ثم يكون مضغةً مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا ، فيُؤمر بأربع كلمات ويقال له : اكتب عمله ، ورزقه ، واجله ، وشقي أم سعيد . ثم ينفخ فيه الروح ، فإن الرجل منكم ليعمل ، حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع ، فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ، و يعمل حتى ما يكون بينه وبين النار الا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة) رواه البخاري و مسلم . (2) . وفي الحديث الآخر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه , **عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعاً وتسعين نفسا فسال عن اعلم أهل الأرض : فدل على راهب، فأتاه فقال انه : قتلت تسعة وتسعين نفساً.. فهل له من توبة؟ فقال له: لا، فقتله. فكمل به مائة ثم سال عن اعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال نعم , و من يحول بينك وبين التوبة؟ انطلق إلى ارض كذا وكذا فان فيها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها ارض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا مابين الأرضنين فإلى أيهما كان أدنى فهو له فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة)** . متفق عليه (3) .فكل هذه الأحاديث تثبت أن العبرة بالخواتيم ومن لطف الله تعالى بعباده أن من يختم لهم بصالح الأعمال أكثر ممن يختم لهم بسوء لان رحمت الله سبقت غضبه وهذا من فضله عباده ومع ذلك يجب أن يحاذر الإنسان فلا يأ من مكرا الله إلا القوم الخاسرون وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من قول : (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فغيره من باب أولى أن يكثروا من نفس الدعاء ولا يتكلوا على أعمالهم أو يغتروا بها فلا استقامة ولا خاتمة طيبة إلا بفضل الله وحده لأنه لن يدخل الجنة احد بعمله بل بفضل الله كما جاء الحديث بذلك قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته . والشيطان ما برح يعمل كل ما في وسعه من اجل إخراج الناس عن سلوك الطريق المستقيم كما قال الله تعالى عن الشيطان : {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شمائلهم وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ } [ا لأعراف :16 - 17] فلا يزال الشيطان يحاول إغواء بين ادم بكل ما أوتي من قوة ومن جهات مختلفة للدلالة على شدة حرصه وإصراره على إغوائهم وإخراجهم عن الطريق المستقيم حسدا لهم ولأبيهم ادم الذي أخرجه الله من الجنة بسبب تكبره وعدم إطاعة الله بالسجود له . قال الاشبيلي رحمه الله فيما نقله عنه ابن القيم رحمهما الله : (واعلم أن لسوء الخاتمة – أعاذنا الله منها –أسبابا ولها طرقا وأبوابا أعظمها الانكباب على الدنيا وطلبها والحرص عليها والإعراض عن الأخرى والإقدام والجرأة على معاصي الله عز وجل . وربما غلب على الإنسان ضرب من الخطيئة ونوع من المعصية فملك قلبه وسبى عقله وأطفأ نوره فلم تنفع فيه تذكرة ولا تنجح فيه موعظة فربما جاءه

.....

(1) رقم الحديث (6606) (2) اللفظ للبخاري برقم (3208)

(3) اللفظ لمسلم برقم (2766)

الموت على ذلك) (1) .ويستفاد من قوله تعالى: { اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } ان من هداهم الله الصراط المستقيم فهم من أنعم الله عليهم النعمة الدائمة الحقيقية الموصلة الى دار رضوانه تعالى , ومن لم يهتد الى الصراط المستقيم فإن النعم الظاهرة عليه انما هي نعم دنيوية زائلة , ففي هذه الآية تعليم لنا من الله تعالى ان نسأله تعالى النعمة الحقيقة الباقية لا النعمة الزائلة .والهداية الكاملة هي التي اجتمع فيها العلم والعمل معا فمن علم ولم يعمل لم يكن مهتديا ومن عمل بلا علم فليس مهتديا ومن علم وعمل فهو المهتدي الهداية الكاملة الموصلة الى رضوان الله تعالى ودار كرامته.وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل ربه الهدى كما جاء عند مسلم انه كان يقول :(اللهم اني اسالك الهدى والعفاف والغنى) (2)

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ (من الحور بعد الكور) (3) والحور هو الرجوع للضلال بعد الهدى . قال تعالى :(إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ) (الاشنقاق : 14) أي لن يبرجع الى ربه فيحاسبه على عمله . قال ابن فارس : (الحاء والواو والراء ثلاثة اصول احدها ..الرجوع) (4) . قال الترمذي في سننه :(ومعنى قوله :(الحور بعد الكون او الكور) وكلاهما له وجه يقال : انما هو الرجوع من الايمان الى الكفر او من الطاعة الى المعصية انما يعني من الرجوع من شيء الى شيء من الشر) (5)

وانشدا في لسان العرب والكشاف للبيد :

وما المرء الا كا لشهاب وضوؤه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

وذكر في الكشاف ان ابن عباس كان لايعرف معنى يحور حتى سمع اعرابية تنادي ابنتها : (حوري أي ارجعي).(6)

ذكر بعض العلماء أن الله تعالى لم يقل : (اهدنا الطريق المستقيم أو السبيل المستقيم) وإنما قال (الصراط) ليذكرنا بالصراط المنصوب على متن جهنم – أعادنا الله منها – . نقل ابن الجوزي عن سهل بن عبد الله التستري انه قال :(من دق الصراط عليه في الدنيا عرض عليه في لاخرة ,ومن عرض عليه الصراط في الدنيا دق له في الاخرة) (7)

ناسب قوله تعالى (اهدنا) بصيغة الجمع قوله تعالى (نعبد) بصيغة الجمع أيضا لحثهم على الاجتماع ونبذ الفرقة وإشاعة روح المحبة والتعاون ونبذ الأنانية . ولم يقل الله تعالى (إيانا اهدي) لأنه لا يجوز أن نطلب الهداية لأنفسنا فقط فالهداية ليست مقصورة على ناس دون ناس بل نطلب الهداية للجميع.

.....

(1) الجواب الكافي (ص 256) (2) الحديث برقم (2721) (3) الحديث اخرجه مسلم برقم (1343) والترمذي برقم (3439) وغيرهما (4) مقاييس اللغة (ص 230) (5) تحفة الاحوذي (8 / 440)
(6) توسع الشيخ محمد بن عبد الله الدويش في شرح تعوذ النبي صلى الله عليه وسلم من الحور بعد الكور
(7) صفة الصفوة (2 / 272)

يستفاد من هذه الآية الكريمة شمول دين الإسلام لان (الصراط) في اللغة معناه الطريق الواسع الذي يتسع لكل الناس فهو دين شامل لكل نواحي الحياة من ملبس ومشرب ومأكل ومعاملات وحرب وسلم ويدل أيضا على شمولية الإسلام أن كلمة (صراط) جاءت على وزن فعال الدالة على الاشتمال كالحزام والفراش والخمار فهو رحب يتسع لكل الناس . وفيه أيضا رد على من زعم أن دين الإسلام يتعلق في التعامل بين الله والعباد وليس له علاقة في الأمور الدنيوية .قال تعالى : {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ } [النحل :89] قال أبو ذر رضي الله عنه : (توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما).ولم يقتصر تنظيم الإسلام على العلاقة بين الناس بعضهم ببعض بل تعدت العلاقة إلى الحيوان وهذا يدل على الشمولية من بابها الواسع فقد ورد في الحديث الصحيح (عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لاهي أطعمتها و سقتها إذ حبستها ولاهي تركتها تأكل من خشاش الأرض) رواه الشيخان عن ابن عمر(1).وثبت أيضا عنه صلى الله عليه وسلم (أن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له بموقها فغفر لها) رواه مسلم عن أبي هريرة (2).والقران الكريم فيه الشيء الكثير من الآيات التي تتحدث عن المعاملات كآية الدين وهي أطول آية في القران. والمتتبع لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم يجد الكثير من الأحاديث والمواقف التي تمس الحياة وتنظمها . وفيه رد على من قال:(دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر).ومن شمولية الإسلام أيضا وعالميته وكماله أن الإسلام جاء للناس جميعا وهو صالح لكل زمان ومكان بعكس الأديان السابقة فالنبي في السابق يبعث لقومه خاصة. وفي قوله تعالى :{ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ} اشارة الى رحمة الله بعباده حيث جعل الطريق الموصلة اليه سهلا لان الطريق المستقيم هو السهل الطرق الموصلة للمراد فالطريق المعوج وان اوصل الى المقصود فهو شاق وبعيد على سالكيه بسبب مافيه من تعرج وطول.تضمنت الفاتحة خمسا من اسماء الله وهي : الله والرحمن والرحيم والرب وملك, في القراءة السبعية , وقد ورد من الفضل في حفظها او احصائها قوله صلى الله عليه وسلم :(لله تسعة وتسعون اسما مئة الا واحدا لايحفظها احد الا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر) (3) وفي رواية مسلم (لله تسعة وتسعون اسما من حفظها دخل الجنة وان الله وتر يحب الوتر , وفي رواية ابن ابي عمر " من أحصاها ") (4) واحصاؤها معناه حفظها كما جاء مفسرا في الرواية الاخرى والعمل بمقتضاها ودعاء الله بها(5).ورجح النووي في شرح مسلم قول البخاري ان المراد حفظها وقال انه الاظهر(6). وذكر ابن حجر في الفتح اقوالا متعددة في معنى (حفظها او احصاها) وضعف بعضها(7).وقد توسع الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – في الكلام على اسماء الله تعالى وصفاته في كتابه (القواعد المثلى في صفات الله واسمائه الحسنى) فليراجع.ومن تراجم مسلم (باب في اسماء الله الله تعالى وفضل من احصاها).

.....

(1) الحديث برقم (2242) واللفظ لمسلم (2) الحديث برقم (2245) (3) اخرجه البخاري برقم (6410) (4) الحديث اخرجه مسلم برقم (2677) (5) انظر القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ ابن عثيمين (ص 570) (6) انظر (16 / 178) (7) انظر (12 / 7684)

وترجم له البخاري (باب : لله مئة اسم غير واحد. وقد جمعت الفاتحة التوسل بنوعيه : توسل بالحمد,وهو الثناء عليه تعالى وتمجيده ,وتوسل بعبوديته وتوحيده ثم جاء بعد ذلك طلب الهداية . وقد جاءت السنة موافقة للقران في هذا النهج وهو طلب الشيء بعد تمجيد الله بأسمائه وصفاته والتوسل إليه فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول عند قيام الليل : (**اللهم لك الحمد ، أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن , ولك الحمد , نور السماوات والأرض , ولك الحمد , أنت الحق , ووعدك الحق , ولقاؤك حق , وقولك حق , والجنة حق , والنار حق , و النبيون حق , ومحمد صلى الله عليه وسلم حق , والساعة حق , اللهم لك أسلمت , وبك آمنت , وعليك توكلت , واليك انبت , وبك خاصمت , واليك حاكمت , فاغفر لي ما قدمت وما أخرت , وما أسررت وما أعلنت , أنت المقدم , وأنت المؤخر , لا اله إلا أنت , أو : لا اله غيرك**) (**1**).فسأله المغفرة بعد التوسل إليه والثناء عليه وتمجيده فهو حقيق بالإجابة. وهنا اشكال وهو: مافائدة ان نسال الهداية الى الطريق المستقيم ونحن مهتدون ؟ قيل معناه ثبتنا عليه . قال ابن تيمية في الرد على من قال بهذا القول :(وانما يوردون هذا السؤال لعدم تصورهم الصراط المستقيم الذي يطلب العبد الهداية اليه فان المراد به العمل بما امر الله به وترك مانهى الله عنه في جميع الامور)(2)

قوله تعالى :(اهدنا الصراط المستقيم) جاءت على بابها فلم يقل :(ايانا اهدي) لانه لو قال ذلك لكان المقصود اهدنا ولاتهدي غيرنا وهذا ليس مقصودا لله تعالى بخلاف (اياك نعبد)

{ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ } تضمنت الحث على سلوك الطريق القويم المستقيم وتضمنت كذلك نعمة الله تعالى وبيان فضله على عباده المؤمنين وان هدايتهم للطريق المستقيم محض فضل منه تعالى يوجب شكرهم له تعالى وانه ليس هناك إلا طريق واحد مستقيم .وفي قوله : {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ } إسناد للنعمة لله وحده دون سواه من الخلق فمن اهتدى فليعلم أن الهداية من فضل الله المحض عليه فلا يغتر بنفسه بعكس {غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } فقد أبهم هنا الفاعل {غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } فيها بيان الذين انحرفوا عن طريق الله المستقيم وهما الذين علموا فلم يعملوا بعلمهم وهذا يؤدي إلى غضب الله وهم اليهود ومن شابههم والذين عملوا بدون علم وهذا يؤدي إلى الضلال وهم النصارى ومن شابههم فمن علم فلم يعمل فله نصيب من الغضب ومن عمل بدون علم فله نصيب من الضلال وبهذا نعلم فضل العلم والعمل به وهو المؤدي إلى الصراط لمستقيم ونعلم خطر العمل بدون علم .وفيها إشارة إلى انه ينبغي علينا التعلم حتى لا نكون من الضالين وان نعمل بعلمنا ونقبل الحق حتى لا نكون من المغضوب عليهم .وفيها أيضا بيان عظم عقوبة من أوتي علما ولم يعمل به لأنهم إنما ضلوا بسبب عدم عملهم بعلمهم واستكبارهم ففيها الرد على من علم ولم يعمل كاليهود ومن سارعلى نهجهم وفيها رد أيضا على عمل بجهل كالنصارى ومن سار على نهجهم . قال ابن سعدي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: { فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ } [الأنعام :33] .ولهذا لما كان استماعهم للقرآن على وجه الكفر والجحد والتكذيب ،

.....

(1) الحديث برقم (1120) واللفظ للبخاري (2) مجموع الفتاوى (10 / 107)

وتوطين نفوسهم على معاداته ، أخبر الله تعالى أنه جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ، وفي آذانهم وقرا،وأنهم لا يهتدون بسبب ما أسسوا من هذا الأصل الخبيث ، المانع لصاحبه من كل خير وهدى . وهذا مما يعلم به حكمة الباري في اضلال الضالين وانهم لما اختاروا لانفسهم الضلال ورغبوا فيه ولاهم الله ماتولوا لأنفسهم ، وتركهم في طغيانهم يعمهون ، وأنهم لما ردوا نعمة الله عليهم حين جاءتهم قلب الله أفئدتهم ، وأصم أسماعهم ، وأعمى أبصارهم وأفئدتهم ، وهذا الوصف الذي أشرنا إليه قد ذكره الله في كتابه عنهم ، وهو يعينك على فهم آيات كثيرة يخبر الله فيها بضلالهم وانسداد طرق الهداية عليهم ، وعدم قبول محالهم وقلوبهم للهدى ، والذنب ذنبهم وهم السبب في ذلك ; قال تعالى :{ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ } [الأعراف : 30].وبضده تعرف الحكمة في هدايته للمؤمنين ، وأنهم لما كانوا منصفين ليس غرضهم إلا الحق ، ولا لهم قصد إلا طلب رضا ربهم ، هداهم الله بالقرآن ، وازدادت به علومهم ومعارفهم وإيمانهم وهدايتهم المتنوعة ، قال تعالى : {يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [المائدة : 16] .وهذا الوصف الجليل للمؤمنين هو الأساس لهدايتهم ، وزيادة إيمانهم ، وانقيادهم ، وبه ينفتح لك الباب في فهم الآيات في أوصاف المؤمنين ، وسرعة انقيادهم للحق : أصوله و فروعه .) (1).اخبر الله في القران في عدة مواضع أنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء ويخطئ من يعتقد أن الله تعالى هدى من هدى وأضل من أضل من غير حكمة بل هي مع المشيئة والإرادة مقرونة بالحكمة . قال الانصاري وهو مالكي من علماء المغرب العربي في منظومة اليواقيت الثمينة:

الله جل شرح الاحكاما لحكمة جليلة على ما

يشاء فاحذر ان تظن حكمه او فعل ربك خلا عن حكمة

وقد ذكر الله تعالى أسبابا للهداية وأسبابا أخرى للضلال . قال تعالى : { يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ } وقال تعالى : { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } [الصف : 5] وقال تعالى : {فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ } [الأعراف : 30] فذكر الله تعالى في هذه الآيات سببا للهداية وسببا للضلال فالله حكيم في كل أفعاله فربما أدركنا شيئا من حكمته تعالى في أفعاله وربما جهلنا بعضها لكنه تعالى حتما حكيم في كل أفعاله فلا يفعل الله تعالى شيئا دون وجود حكمة فلا مجال لوجود أي عبث فهو منزه سبحانه وتعالى عن جميع النقائص من كل وجه . قال تعالى : {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } [الحج :115] . قال الطحاوي في عقيدته :(يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا . ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا) (2) . قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله في سلم الوصول إلى علم الأصول :

.....

(1) تفسير ابن سعدي (ص 226) (2) شرح العقيدة الطحاوية (ص 184)

فمن يشأ وفقه بفضله ومن يشأ أضله بعدله

فمنهم الشقي والسعيد وذا مقرب وذا طريد

لحكمة بالغة قضاها يستوجب الحمد على اقتضاها

وقد يرد اشكال هنا هو: كيف ضل كثير من الناس ولهم عقول يعرفون بها الصالح من الفاسد ؟ فالجواب ان الله تعالى جعل للايمان موانع كما جعل له اسبابا موصلة له ,فمن اسباب موانع تحقيق الايمان الجهل .قال تعالى :(بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) (يونس : 39) وقد وردت ايات كثيرة في القران تذم الجهل والجاهلين . قال عز وجل :(وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) (الانعام : 111) وقال تعالى :(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) (الانعام :37) وكل هذا في سياق الذم . ومن الاسباب الصارفة عن الايمان الترف والانغماس في الملذات . قال تعالى محبرا عن اهل الحجيم واسباب دخولهم النار :(وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ {42/56} وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ)(الواقعة : 42 – 43 – 44) ,ومن الاسباب الغفلة عن الاخرة . قال تعالى:(يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ)(الروم : 7) قال ابن سعدي – رحمه الله - :(**ومن العجب أن هذا القسم من الناس قد بلغت بكثير منهم الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا إلى أمر يحير العقول ويدهش الألباب. وأظهروا من العجائب الذرية والكهربائية والمراكب البرية والبحرية والهوائية ما فاقوا به وبرزوا وأعجبوا بعقولهم ورأوا غيرهم عاجزا عما أقدرهم الله عليه، فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء وهم مع ذلك أبلد الناس في أمر دينهم وأشدهم غفلة عن آخرتهم وأقلهم معرفة بالعواقب، قد رآهم أهل البصائر النافذة في جهلهم يتخبطون وفي ضلالهم يعمهون وفي باطلهم يترددون نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون. ثم نظروا إلى ما أعطاهم الله وأقدرهم عليه من الأفكار الدقيقة في الدنيا وظاهرها و[ما] حرموا من العقل العالي فعرفوا أن الأمر لله والحكم له في عباده وإن هو إلا توفيقه وخذلانه فخافوا ربهم وسألوه أن يتم لهم ما وهبهم من نور العقول والإيمان حتى يصلوا إليه، ويحلوا بساحته [وهذه الأمور لو قارنها الإيمان وبنيت عليه لأثمرت الرُّقِيَّ العالي والحياة الطيبة، ولكنها لما بني كثير منها على الإلحاد لم تثمر إلا هبوط الأخلاق وأسباب الفناء والتدمير)(1).**وتأمل قوله تعالى عن عباده المؤمنين :(وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) (البقرة :4) وهذا في سبيل المدح والامتنان فيفهم منه ان انكار الاخرة والغفلة عنها مذموم ومن اسباب الضلال والهلاك والايمان بالغيب من اسباب تحصيل الفلاح . والايمان بالغيب هو الذي يميز المسلم الحق عن الكافر لان المسلم الحق يؤمن بكل مايخبر الله به من امور الغيب وغيرة والكافر لايؤمن الا بالمحسوسات فميزان التصديق عنده العقل اما مالا يتصوره العقل البشري القاصر فلا يؤمن به.(2) ومن الاسباب احتقار الرسل . قال تعالى حكاية عن قوم نوح :(قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ) (الشعراء : 111)

.....

(1) تفسير ابن سعدي (ص699) (2) توسعت د. فوزية بنت عبد اللطيف بن كامل كردي في الكلام على الغيب في كتابها (اصول الايمان بالغيب وآثاره) وهو في الاصل رسالة دكتوراه طباعة دار القاسم .

وفي موضع اخر من القران :(فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ) (هود: 27 . ومن صوارف الهدى عدم اعمال السمع والعقل على الوجه السليم الموافق للشرع وهو التسليم التام لما جاء به الله . قال تعالى :(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ {10/67} فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ) (الملك :10 – 11) فاعترفوا انهم لم يعملوا اسماعهم وعقولم كما يجب فاوردهم النار وبئس الورد المورود.وفي هذه الاية رد على الملاحدة ومن لايؤمن الا بالمحسوسات وكل من قدم العقل على النقل او اعتقد ان العقل لايتفق مع النقل الصحيح. قال تعالى :(وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى*وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) (الليل:8-9-10) فبين تعالى هنا ان بخل العبد وتكذيبه بالحسنى سبب في بعده عن الهدى وهذا ناشيء عن اعمال المسببات وفي الاية التي قبلها من اخذ بالاسباب وبذل وصدق بالحسنى وفقه الله الى اليسرى وهذا فيه اشارة الى ان للهدى اسبابا وللضلال مثلها .وكلما قوي الصارف عن الهدى- كما في زماننا حيث كثرت الفتن وثبطت الهمم- كان اجر من سعى الى الهدي وتمسك به اكثر. ولهذا الانبياء هم اشد الناس بلاء كما جاء بذلك الحديث . قال النبي صلى الله عليه وسلم :(اشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون) (1) اخرجه الحاكم في المستدرك بالفاظ مختلفة.

اخرج الترمذي وابو داوود عن ابي امية الشعباني قال : سألت ابا ثعلبة الخشني فقلت : ياابا ثعلبة كيف تقول في هذه الاية {عليكم انفسكم } [المائدة : 105] قال :اما والله لقد سالت عنها خبيرا .سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي راي برأيه فعليك) يعني (بنفسك ودع عنك العوام فان من ورائكم ايام الصبر الصبر فيه مثل قبض على الجمر للعامل فيهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله) وزادني غيره قال : يارسول الله اجر خمسين منهم ؟ قال :(اجر خمسين منكم) (3).قال ابن حزم :(وكذلك القليل من الجهاد في زمان الشدائد افضل من كثيرهما في وقت القوة والسعة)(4). وذكر ابن العربي اشكالا : كيف يكون اجر من يأتي من الامة اضعاف اجر الصحابة مع انهم اسسوا الاسلام وعضدوا الدين واقاموا المنار وافتتحوا الامصار وحموا البيضة ومهدوا الملة ؟وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في اصحابه:(فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا مابلغ مد احدهم ولا نصيفه) واجاب ابن العربي : (ان الاعمال في فروع الدين يساويهم فيها في الاجر من اخلص اخلاصهم وخلصها من شوائب البدع والرياء بعدهم) (5). وقال غيره : ان الفضل الجزئي لاينافي الفضل الكلي . قال في تحفة الاحوذي :(وقد تكلم ابن عبد البر في هذه المسالة وقال يمكن ان يجيء بعد

.....

(1) ذكره في فيض القدير برقم (1057) وقال الحاكم في المستدرك :(قد صحت الرواية من اوجه عن مصعب بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذكر الحديث بلفظ (اشد الناس بلاء الانبياء ثم العلماء ثم الامثل فالامثل) (محنة ابي ذر رضي الله عنه) (3 / 263) (2)انظر حديث رقم (119 – 120) (3) الحديث عن ابي داوود برقم (4333) والترمذي (3058) واللفظ لابي داوود (4) الملل والنحل (3 / 53) (5) احكام القران (2 / 201)

الصحابة من هو في درجة بعض منهم او افضل ومختار العلماء خلافه) (1) وقال الصنعاني :(ذهب ابن عبد البر بان التفضيل انما هو بالنسبة الى مجموع الصحابة فانهم افضل ممن بعدهم , لا كل فرد) (2) ويقوي ماهب اليه ابن عبد البر مااخرجه احمد في مسنده واخرجه غيره عن ابي عبيدة عامر بن الجراح قال : يارسول الله احد خير منا اسلمنا معك وجاهدنا معك , قال : نعم . قوم يكونون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني) (3) وذكر الصنعاني ان ابن عبد البر استثنى اهل بدر والحديبية . وجمع بينهما التفتازاني فقال :(ان الافضلية تختلف بالاعتبارات فالقرون السابقة بنيل شرف قرب العهد ولزوم سيرة الصدق والعدل واجتناب المعصي واما باعتبار كثرة الثواب فلا يدرى ان الاول خير بكثرة طاعته وقلة معصيته ام الاخر لايمانه بالغيب طوعا ورغبة مع انقضاء مشاهدة زمن اثار الوحي وظهور المعجزات وبالتزامه طريقة السنة مع فساد الزمان) (4) وقال اخرون : ان الافضلية تكون في بعض الصحابة وليس في كبارهم فانهم حازو مراتب السبق في كل انواع الخير فلا تفاضل مع من يأتي بعدهم .وفصل القول العلائي , وهو شافعي من علماء دمشق تتلمذ على ابن تيمية وتخرج عليه ابن كثير المفسر ,في رسالة اسماها (تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة) فقال بعد ذكر الخلاف :(والحق الذي ذهب اليه الاكثرون ان فضيلة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والفوز برؤيته لايعدل بعمل , وان من منحه الله تعالى ذلك فهو افضل ممن جاء بعده على الاطلاق) (5) وأيد قوله من ثمان وجوه ذكرها. ورد على من احتج بالافضلية اللاحق بحديث (للعامل منهم اجر خمسين رجلا منكم) بانه لايلزم من ثبوت زيادة الاجر في بعض الاعمال ثبوت الفضيلة المطلقة. وذا صح حديث ابي عبيدة بانه يأتي قوم بعد النبي صلى الله عليه وسلم خير من الصحابة فانه نص في المسألة يجب الاخذ به ولاعبرة بقول اخر ولا يحط هذا من قدر الصحابة فلهم من شرف الصحبة ونقل الدين والجهاد في سبيل الله والانفاق والاسبقية في الاسلام ماليس لغيرهم.قال ابن حزم في حديث (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم):(ومعنى هذا الحديث انما هو كل قرن من هذه القرون التي ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم اكثر فضلا بالجملة من القرن الذي بعده , لايجوز غير هذا البتة)(6)وقال في موضع اخر من الملل والنحل:(ومايبعد ان يكون في زماننا من هو افضل رجل من التابعين عند الله عز وجل) (7)

قوله : { غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ } لم يوضح الله تعالى من الغاضب حتى يذهب العقل كل مذهب فيحتمل أكثر من وجه فالله غاضب على اليهود وكل من سلك طريقهم فلم يعمل بما علم وينبغي على المسلمين أن يغضبوا على اليهود أيضا تبعا لغضب الله فنغضب على من غضب الله عليه ونرضى ونحب من أحب ورضي الله عنه . قال تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ } [الفتح : 18] فنترضى عنهم تبعا لرضي الله تعالى.

.....

(1) تحفة الاحوذي (7 / 489) (2) توضيح الافكار (2 / 456) (3) احمد (16976) ومعجم الطبراني (3573) (4) توضيح الافكار (2 / 456) (5) مجموع رسائل الحافظ العلائي (1 / 275 – 276) (6) الفصل في الملل والاهواء والنحل(3 / 108) (7)الملل والنحل (3 / 113)

ومن غضب الله عليه وكتب عليه انه من اهل النار فلن تنفعه جميع الايات ولا المواعظ ولا النذر لانهم اهل عناد وغي واستكبار. قال تعالى : {وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ } [يونس :101] قال الطبري :(وما تغني الحجج والعبر والرسل المنذرة عباد الله عقابه ، عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء ، وقضى لهم في أم الكتاب أنهم من أهل النار،لا يؤمنون بشيء من ذلك ولا يصدِّقون به.وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ)(1) ولأنهم لم يسعوا في ارادة الحق ولا في سبيل تحقيق اسبابه فاستحقوا الضلال والشقاء من كل وجه وهم بكل هذه الاسبابب قلوبهم ليست قابلة للحق ولا محلا له والله تعالى ليس ظالما لهم باضلالهم .قال تعالى :(فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (الصف :5).وقال تعالى :(ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُون)(التوبة : 127) وقال عز وجل :(سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ) (الاعراف : 146)

وتقديم المغضوب عليهم على الضالين في الذكر فيه شارة إلى أن من لم يعمل بما علم اشد إضلالا ممن عمل على جهل والمقصود بالعالم هنا ليس من كان ملما بعلوم كثيرة بل كل من علم بمسالة من مسائل الدين فهو عالم بها . وذكر {غَيرِ المَغضُوب عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } بعد {الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ } أسلوب بلاغي وهو المقابلة فالمقابلة بين الأوصاف تغني عن التصريح بالمفاضلة فكل عاقل يعرف بالبداهة التفاوت بين الفئتين وهما المنعم عليم والفئة الأخرى المغضوب عليهم والضالين فمن البدهي أن يعرف أن المنعم عليهم خير من المغضوب عليم ومن الضالين فالفئة الأولى سلكت طريق الهدى والحق والإيمان فاستحقت بذلك النعمة والإرشاد والفئة الثانية سلكت الطريق المعوج وخرجوا عن طاعة الله تعالى فاستحقوا الضلال والعمى بفعلهم .و من فوائد ذكر: {غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } بعد {أَنعَمتَ عَلَيهِمْ } ليعيش المسلم بين الخوف والرجاء فإن قوله تعالى: {أَنعَمتَ عَلَيهِمْ } تشعر بالرجاء , وقوله : {غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } تشعر بالخوف فيعيش المسلم بين الخوف والرجاء وبهذا يقوى إيمانه ويكون إلى الكمال أقرب .

وتضمنت سورة الفاتحة تقسيم الناس إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : المنعم عليهم وهم السائرون على طريقه المستقيم .

القسم الثاني : المغضوب عليهم وهم الذين علموا فلم يعملوا .

.....

(1) تفسير الطبري (6 / 307)

القسم الثالث : الضالون الذين عملوا بلا علم .وقد أفرد ابن القيم رحمه الله في كتابه مدارج السالكين فصلا عن كون الفاتحة اشتملت على شفاء القلوب والأبدان فقال : (فأما اشتمالها على شفاء القلوب فإنها اشتملت عليه أتم اشتمال فان مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين : فساد العلم وفساد القصد ويترتب عليهما داءان قاتلان وهما الضلال والغضب فالضلال نتيجة فساد العلم والغضب نتيجة فساد القلب وهذان المرضان هما ملاك أمراض القلوب جميعا فهداية الصراط المستقيم تتضمن الشفاء من مرض الضلال ولذلك كان سؤال هذه الهداية افرض دعاء على كل العبد وأوجبه عليه كل يوم وليلة في كل صلاة لشدة ضرورته وفاقته إلى الهداية المطلوبة ولا يقوم غير هذا السؤال مقامة) (1) .

ثم ذكر تضمن شفاءها للأبدان فذكر. حديث أبي سعيد الخدري المتقدم عندما لدغ سيد الحي .وتضمن قوله تعالى : {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } الإخبار عن الأمم السابقة وحال كل منهم ما بين ضال ومنعم عليه لأخذ العبرة قال تعالى : { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ } [يوسف : 111] . قال ابن قدامة رحمه الله تعالى: (وإن القصص لم يرد بها السمر بل العبر) (2) .وحتى نتفكر في مصير كل امة من الأمم السابقة كيف كانت والى أي شيء آل مصيرها فنتجنب طريقها إن كانت ضالة ونقتدي بها إن كانت صالحة ولكي نخشى عقاب الله الذي حل بالأمم الضالة التي عصت أمر ربها تعالى ونطمع بالأجر والثواب الذي أعطاه الله من أطاعه من الأمم . ولنعلم سعادة الذين أطاعوا الله وشقاوة الذين عصوه تعالى . وفي الإخبار عن الأمم السابقة تذكير بأيام الله قال تعالى : {وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الْأَنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ } [القمر :4].ومن فوائد قصص الأمم السابقة تعلم الصبر والثبات في وقت الشدائد وتعلم الإخلاص لله تعالى واحتساب الأجر والثواب عند الله وتقديم التضحية وان الفرج يأتي بعد الشدة {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } [الشرح : 6].والنظر في أحوال الأمم السابقة والتفكر في مآلهم له تأثير في النفس يحملنا على الاقتداء بالشاكرين وتجنب طريق الضالين . وتعلم حسن العاقبة والصدق في النصح والإرشاد والدعوة إلى كل عمل صالح مفيد والنهي عن كل ما يضرهم في دينهم ودنياهم. ومن الفوائد أن يقتدي المؤمنون , كالدعاة , بالأنبياء الذين قص الله علينا قصصهم مع أممهم قال الله تعالى: { أولئك الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ } [الأنعام :90]. فهي تعلم الدعاة الصبر والاحتساب وطرق الدعوة فيجب أن تكون الدعوة باللين كما قص الله علينا قصة موسى عليه السلام وفرعون {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } [طه : 45] وتعلم أن العاقبة إنما تكون في النهاية للمؤمنين وان المؤمن دائما أو غالبا مبتلى فلا يجزع ولا يتراجع عن الحق . ومن فوائد القصص القرآني تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وتسليتهم وأنهم لم يكونوا وحدهم الذين كذبوا وواجهوا المصاعب والمشاق وإنما هناك غيرهم ممن سبقوهم في الأزمان السالفة قال

.....

(1) انظر (1 / 125) (2) مختصر منهاج القاصدين (ص 50)

تعالى :{ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } [هود :120] . ومن الفوائد إثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم فلا سبيل إلى معرفة أخبار الأمم السابقة إلا بالوحي قال تعالى : {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ } [إبراهيم :9] .ومن الفوائد معرفة ان الكل ظلم نهاية مهما طال الزمن ولهذا امثلةكثيرة منها فرعون الذي أغرقه الله وأصحاب الفيل الذين اهلكهم الله بحجارة من سجيل وغيرهما كثير . ومن الفوائد أيضا معرفة أن النعم إنما تدوم بالشكر وتزول بالكفر . ومن الفوائد لجوء المسلم إلى ربه وقت المحن ولهذا أمثلة كثيرة منها قصة أصحاب الغار الذين أغلق الغار عليهم فجعلوا يتوسلون إلى الله بالأعمال الصالحة حتى انفرجت كربتهم وقصة أصحاب الكهف المعروفة لما فروا بدينهم ويلاحظ في القصص القرآني عدم ذكر الزمان والمكان عند سرد القصة وهذا – والله اعلم – يدل على أن ذكر الزمان والمكان ليس فيه كبير فائدة ولو كان كذلك لذكره سبحانه وتعالى وإنما المهم هو استخلاص العبرة والدرس ولعل احد الأسباب لعدم ذكر الزمان والمكان أن الصراع بين الكفر والإيمان لا يتغير عبر العصور والأزمنة فلا عبرة بذكر الزمان والمكان فالمهم معرفة أسباب الكفر فنتجنبها ومعرفة أسباب الإيمان فنفعلها . وربما لو عرفت الأماكن التي جرت بها هذه الأحداث لعبدت من دون الله فلله حكمة في كل شي .وقصص الامم السابقةالواردة في القران وصحيح السنة من الغيب الذي يجب الايمان به لاننا لم نره , فقصصهم مما غاب عن علمنا ولم نعلنه الاب اخبار الله ورسوله لنا. وممن ألف في قصص القران ومعرفة المستفاد من القصص القرآني د. عبد الكريم زيدان في كتابه (المستفاد من قصص القران)(1) وتضمن قوله تعالى : {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ } وقوله : {غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } وجها من وجوه البلاغة وهي المقابلة بين طرفين متضادين وإذا قرن الشيء بضده ظهر كمال ذلك الشيءالمقارن وهو الهداية الى الصراط المستقيم .والغرض من المقابلة الترغيب في سلوك طريق المؤمنين والتحذير من طر يق الكافرين .وقوله تعالى : { غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } فيه حذف دل عليه السياق بقوله: { اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ) والتقدير (غير صراط المغضوب عليهم وغير صراط الضالين) ونظيره في القران قوله تعالى:(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا) (فصلت : 46) .والتقدير فعمله لنفسه واساءته عليها وهو معلوم من السياق . وقوله تعالى :(يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ) أي ويثبت مايشاء فحذف مادل عليه السياق وله نظائر كثيرة في القران ذكرها الزركشي في البرهان في قوله تعالى :

.....

(1) تكلم ابن عاشور – رحمه الله – في المقدمة السابعة من تفسير عن قصص القران وذكر عشر فوائد واجاد كعادته فليراجع . انظر (1 / 64) (2)البخاري برقم (6311) (3) الفتح (12 / 7547)

{ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } اشارة الى انه ينبغي علينا ان نتتبع قصص اولئك الذين غضب الله عليه فننظر كيف ضلوا حتى نتجنب اسباب ضلالهم ونأخذ العبرة من قصصهم كما قال تعالى :(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ) (يوسف : 111) وننظر الى الذين هداهم الله وانعم عليهم كيف حصلوا على نعمة الانعام والهداية فنعمل مثلهم وينشأ عن قراءة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته من المصادر الموثوقة كالبداية والنهاية لابن كثير او زاد المعاد لابن القيم او غيرهما .

ونظيره في السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الاضطجاع (رغبة ورهبة اليك)(1) والتقدير رغبة في ثوابك ورهبة من عقابك فحذف الخافض (في) لدلالة السياق عليه ولكونه مفهوما عند المخاطبين .ذكر ابن حجر في الفتح ان النسائي اخرج في روايته (رهبة منك ورغبة اليك) قال في الفتح :(قال ابن الجوزي:(اسقط "من " مع ذكر الرهبة واعمل " الى " مع ذكر الرغبة وهو على طريق الاكتفاء) (2) ثم استشهد بالابيات التالية .ونظير اخر من السنة ماورد عند البخاري في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم رخص في بيع العرايا (3) والتقدير في بيع تمرالعرايا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في الاية السابقة والتقدير (غير صراط المغضوب عليهم).وقوله صلى الله عليه وسلم :(..فأوحي الي انكم تفتنون في قبوركم مثل او قريب – لادري أي ذلك قالت اسماء – من فتنة المسيح الدجال) (4) التقدير تفتنون فتنة مثل او قريب من فتنة المسيح الدجال . قال ابن حجر :(قال ابن مالك : توجيهه ان اصله مثل فتنة الدجال او قريبا من فتنة الدجال فحذف مااضيف الى مثل وترك على هيئته قبل الحذف وجاز الحذف لدلالة مابعده عليه) (5) وقوله صلى الله عليه وسلم :(انما مثلكم اليهود والنصارى) (6) بخفض اليهود والتقديرومثل اليهود , وهناك تخريجات اخرى وماقيل وجه في المسألة. وعند البخاري ان ابن عمر سأل بلالا : اصلى النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة ؟ قال : نعم .ركعتين (7) . والتقدير صلى ركعتين فحذف ماهو معلوم .

وعند البخاري ايضا ان ابن عمر لما سئل كم اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : اربعا.(8) .والتقدير اعتمر اربعا فحذف ماهو معلوم ودل عليه السياق لكونه مفهوما عندهم.

.....

(1)البخاري برقم (6311) (2) الفتح (12 / 7547) (3)الحديث برقم (2191) (4) البخاري (86) (5) الفتح 1 / 241) (6)البخاري برقم (2269) (7) الحديث برقم (397) (8)البخاري برقم (1775)

وحذف ماهو معلوم من السياق من اساليب العربية كما ورد في اشعارهم . وعليه قول ابن مالك في الفيته :

وحذف مايعلم جائز كما تقول زيد بعد من عندكما

قال الشاعر :

رأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا

والرمح يحمل لايتقلد وهو مفهوم من السياق اواغنى ذكر احدهما عن الاخر. وقول الاخر :

علفتها تبنا وماء باردا حتى شتت همالة عيناها (1)

والماء يشرب لايتعلف دل المقام عليه . وقول الاخر :

اذا ماالغانيات برزن يوما وزججن الحواجب والعيونا

التقدير وكحلن العيون لان لفظ (وزججن) معناه جعلن الحواجب دقيقة حسنة المنظر وهذا الوصف لايصدق على العيون ولا يناسبها .وقول الشاعر :

تراه كأن الله يجدع انفه وعينيه ان مولاه صار له وفر

التقدير يجدع انفه ويفقأ عينيه لان العين لاتجدع وانما الذي يجدع الانف فحدذ ماهو معلوم .وقول الشاعر :

مه عاذلي فهائما لن ابرحا مثل او احسن من شمس الضحى .

اراد مثل شمس الضحى او احسن من شمس الضحى. والامثلة كثيرة وماذكر فيه الكفاية .

وذكر سيبويه في الكتاب ان العرب قد يحذفون مادل السياق عليه تخفيفا وللعلم به.(2)

.....

(1) هناك اوجه اخرى لتخريج (تبنا) انظر المسائل النحوية في كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري للدكتورة ناهد العتيق (ص 546) (2) الكتاب (345)

قال ابن مالك في الفيته :

وربما جروا الذي ابقوا كما قد كان قبل حذف ماتقدما

لكن بشرط ان يكون ماحذف مماثلا لما عليه قد عطف

وانشد سيبويه في الكتاب قول النابغة الذبياني :

كأنك من جمال بني أقيش يقعقع بين رجليه بشن (1)

والتقدير: كأنك جمل من جمال بني أقيش فحذف المنعوت وهو – جمل - للعلم به

واستشهد به الطبري في تفسيره على جواز الاستغناء بذكر البعض الظاهر على البعض الباطن في لغة العرب

وعليه قول ابن مالك في الفيته :

ومامن المنعوت والنعت عقل يجوز حذفه وفي النعت يقل .

قال ابن الجوزي :(وقد تجمع العرب شيئين في كلام فيرد كل واحد منهما الى مايليق به)(2)

وقد اطال الطبري – رحمه الله – في تفسيره الكلام على اوجه اعراب (غير) في قوله تعالى :(غير المغضوب عليهم) لتعلق الاعراب في التأويل ثم قال بعد سرد الاوجه الاعرابية :(والصَّوابُ من القول في تأويله وقراءته عندنا، القول الأول، وهو قراءةُ(غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) بخفض الراء من " غير ". بتأويل أنها صفة لِ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ونعتٌ لهم – لما قد قدمنا من البيان- إن شئتَ، وإن شئت فبتأويلِ تكرار صِرَاطَ . كلُّ ذلك صوابٌ حَسنٌ.) (3).ويستفاد من قوله تعالى : { غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } ان ماكان سببا في هلاك الامم السابقة قد يكون سببا في هلاك هذه الامة .ومن الامم السابقة الهالكة أهل سبا من بلاد اليمن.قال تعالى مخبرا عنهم لاخذ العبرة منهم: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)(سبأ : 15 – 19) . قال ابن سعدي – رحمه الله - :(ومن نعم الله ولطفه بالناس عموما وبالعرب خصوصا انه قص في القران اخبار المهلكين والمعاقبين ممن كان يجاور العرب ويشاهد اثارهم ويتناقل الناس اخبارهم ليكون ذلك ادعى الى التصديق واقرب للموعظة) (4)

.....

(1)الكتاب (2 / 345) (2) المدهش (ص39) (3) تفسير الطبري (1 / 158 – 159)
(4) تفسير ابن سعدي (ص 742 – 743)

ويستفاد من قصة سبأ ان الكفر وما دون ذلك من المعاصي مزيل للنعم كما زالت جناتهم بكفرهم وتكذيبهم انبيائهم وان الشكر من اسباب دوام النعم . قال تعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (ابراهيم : 7) ويستفاد منها التحذير من مخالفة امر الله لان قصص القران سيقت للاتعاظ وليس لمجرد السرد . وكانت عاقبة سبأ بالظاهر والباطن فلنا نسوا الله انساهم انفسهم . قال تعالى : (نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ) (الحشر : 19) (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (الصف : 5) (وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ) (يونس : 101) (الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ 9 (غافر : 70) (وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ) (الانعام :49) والايات التي ذكرها الله تعالى في كتابه التي تخبر بعذاب وهلاك من اعرض عن الله متظاهرة وكثيرة .

قال تعالى :(قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) (الانعام : 65) وان كان بعض المفسرين يرى ان المخاطب بهذه الاية المشركون وان المسلمين ليسوا مقصودين الا ان شيخ المفسرين الطبري- رحمه الله - يرى ان المسلمين قد تشملهم هذه الاية . قال – رحمه الله - بد ان ذكر الخلاف في المقصود في هذه الاية :(والصواب من القول عندي أن يقال: إنّ الله تعالى ذكره توعَّد بهذه الآية أهلَ الشرك به من عبدة الأوثان، وإياهم خاطبَ بها, لأنها بين إخبار عنهم وخطاب لهم, وذلك أنها تتلو قوله: قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ، ويتلوها قوله: وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ . وغير جائز أن يكون المؤمنون كانوا به مكذبين ، فإذا كان غير جائز أن يكون ذلك كذلك, وكانت هذه الآية بين هاتين الآيتين, كان بيّنًا أن ذلك وعيدٌ لمن تقدّم وصف الله إياه بالشرك، وتأخر الخبر عنه بالتكذيب لا لمن لم يجر له ذكر. غير أن ذلك وإن كان كذلك، فإنه قد عم وعيدُه بذلك كلَّ من سلك سبيلهم من أهل الخلاف على الله وعلى رسوله، والتكذيب بآيات الله من هذه وغيرها.) (1) ويؤيد ماذهب اليه الطبري قوله تعالى : (وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الانفال : 25) وختم الاية بقوله (وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) فيها معنى التخويف والترهيب والوعيد الشديد والتحذير من مخالفة امر الله وان العذاب اذا نزل قد يعم الجميع كما افاد بذلك اهل التفسير . ويتفرع عن تلك الفوائد وجوب الحذر من مخالفة امر الله حتى لايقع عليه شيء من هذه العقوبة ثم يبعث كل على نيته .

.....

(1) تفسير الطبري (4 / 902 – 903)

اخرج البخاري في صحيحه عن جابر - رضي الله عنه – قال :(قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك قال أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أهون أو هذا أيسر) (1) وهذا لايدل على ان هذه الامة في مأمن من عذاب الله ان خرجت عن امره تعالى . قال الحافظ :(أن الإعادة المذكورة في حديث جابر وغيره مقيدة بزمان مخصوص وهو وجود الصحابة والقرون الفاضلة ، وأما بعد ذلك فيجوز وقوع ذلك فيهم) (2)

ومن تراجم مسلم في صحيحه (باب هلاك هذه الامة بعضهم ببعض) ثم ذكر حديث ثوبان – رضي الله عنه – وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :(وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا) (3)

واخرج مسلم في صحيحه حديث عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ذات يوم من العالية حتى إذا مر بمسجد بني معاوية ,ويسمى مسجد الاجابة لان الله استجاب فيه دعاء النبي صلى الله عليه وسلم , دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف إلينا فقال صلى الله عليه وسلم سألت ربي ثلاثا فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها.(4)

.....

(1) الحديث برقم (4628) (2)الفتح (9/5249) (3) الحديث برقم (2889)

(4) الحديث برقم (2890)

اخرج مسلم في صحيحه عن زينب بنت جحش أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ من نومه وهو يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد سفيان بيده عشرة قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث (1) قال النووي – رحمه الله - قوله : (أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : إذا كثر الخبث) هو بفتح الخاء والباء ، وفسره الجمهور بالفسوق والفجور ، وقيل : المراد الزنا خاصة ، وقيل : أولاد الزنا ، والظاهر أنه المعاصي مطلقا . و (نهلك) بكسر اللام على اللغة الفصيحة المشهورة ، وحكي فتحها . وهو ضعيف أو فاسد . ومعنى الحديث أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام ، وإن كان هناك صالحون . (2) واخرجه مالك في الموطأ بلفظ ان أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت :يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم إذا كثر الخبث .

قال ابن عبد البر : (و هذا الحديث لا يعرف لأم سلمة بهذا اللفظ ، إلا من وجه ليس بالقوي)(3) و قال ابن عبد البر في التمهيد : (وأما قوله فيه : إذا كثر الخبث ، فمعناه ، عند أكثرهم : الزنا ، وأولاد الزنا ، وجملة القول - عندي في معناه - أنه اسم جامع يجمع الزنا ، وغيره من الشر ، والفساد ، والمنكر في الدين ، والله أعلم .) (4) قال الحافظ في الفتح في معنى الخبث :(فسروه بالزنا وبأولاد الزنا والفسوق والفجور وهو اولى لانه قابله بالصلاح)(5) وابن عبد البر والنووي والحافظ اتفقوا ان معنى (الخبث) ليس خاصا باولاد الزنا بل اعم من ذلك فيشمل كل المعاصي .

من تراجم البخاري في صحيحه (باب ويل للعرب من شر قد اقترب) وبوب له مالك في الموطأ (باب ماجاء في عذاب العامة بعمل الخاصة) .

يستفاد مما سبق وجوب الحذر من مخالفة امر الله ووجوب تجنب ماكان سببا في هلاك الامم السابقة حتى لانهلك بماهلكوا.(6). والعذاب لايكون دائما بالامور الظاهرة كالابدان او الاموال والزلازل والبراكين والماء بل قد يكون بما هو اعظم من ذلك وهو فساد القلوب بامراض الشهوات والشبهات.

.....

(1) الحديث برقم (2880) والبخاري برقم (7095) (2) شرح النووي على مسلم (18 / 333 – 334) (3) التمهيد (16 / 401) (4) (16 / 403)

(5) الفتح (14 / 8859) (6) توسع أ. د محمد امحزون في ذكر السنن الاجتماعية في القران وعملها في الامم المسلمة والكافرة (3 مجلدات) فذكر اممما كثيرة ومااصابها من العذاب والكتاب من طباعة دار طيبة

امراض القلوب اشد فتكا من امراض الابدان ولهذا اهتم الشرع بصلاح القلوب قبل صلاح الابدان . قال تعالى :(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق : 1) فبدأ بذكر العلم الذي فيه حياة القلوب قبل الخلق . وقال تعالى :(الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الْإِنسَانَ)(الرحمن :1-2-3-) ويدل له ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر القرون المفضلة ثم ذكر ان قوما يأتون بعدهم فقال فيهم :(ويظهر فيهم السمن)(1). وهذا يدل على اهتمامهم بأبدانهم قبل قلوبهم وهذا في سياق الذم.وذكر الكرماني اقوالا اخرى في شرح مصابيح السنة. كثير من الامم تنعموا بالظاهر كثيرا وكان عذابهم بفساد قلوبهم.قال تعالى :(أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ) (القلم :14) وقال تعالى :(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) (المسد 1 – 2) و قال عز و جل : (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا) (المدثر : 12) وقال تعالى : (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا) (المزمل : 11) وهذا كله في سياق الذم, فكل هؤلاء تنعموا بالمال والولد وكان عذابهم بفساد قلوبهم الذي سيوردهم المهالك في الاخرة .والغفلة عن دين الله سبب موجب للعذاب والضلال وقد وردت في القران على وجه الذم . قال تعالى :(أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ *لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ) (النحل :108 – 109)وقال تعالى : (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) (الروم : 7) وقال عز وجل :(إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ) (يونس : 7) ويستفاد من الايات السابقة وجوب الحذر من الغفلة عن دين الله وان الذين خسروا الاخرة واستحقوا العذاب انما كان بسبب غفلتهم.اشار السيوطي في (اسرار ترتيب القران) و الزركشي في (البرهان في علوم القران) الى سر ارتباط الفاتحة بالبقرة . قال الزركشي – رحمه الله - : (وكافتتاح سورة البقرة بقوله:(الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) اشارة الى (الصِّرَاطَ) في قوله : (اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ) كانهم لما سالوا الهداية الى الصراط المستقيم قيل لهم :ذلك الصراط الذي سالتم الهداية اليه هو الكتاب , وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة) (2)واشار السيوطي الى ماقاله الزركشي في (اسرار ترتيب القران) وذكر خمسة اوجه اخرى من المناسبات بين الفاتحة والبقرة .(3)

يستفاد من قوله تعالى :(غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ) اثبات صفة الغضب لله تعالى على الوجه اللائق به وكذا يقال في جميع الصفات . واثبات صفة الغضب ورد في ايات كثيرة في القران والسنة . قال تعالى :(وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) (النساء : 93) وقال تعالى : (وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (الانفال :16) ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم وهو عند مسلم :(اشتد غضب الله على قوم فعلوا هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حينئذ يشير إلى رباعيته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله عز وجل)

.....

(1)ذكره البغوي في مصابيح السنة برقم (4702) (2) البرهان في علوم القرا (1 / 38)
(3) انظر (ص 24 – 29)

لعل من المناسب أن اذكر المعاني المجملة في سورة الفاتحة كما نظمها مؤلفها حسين علي دحلي منقولة من كتابه (الفية التفسير):

تيمنت باسم الله يا من يؤمل رجوتك رحمانا رحيما ميسرا

هديت فؤادي يا مرادي إلى الهدى لك الحمد أنت الرب يا مالك الورى

لك الملك يوم الدين يوم معادنا فكن لي مريدا يوم تبدي السرائرا

فليس بمعبود سواك ومسعف فأنت لها فارحم ذليلا وصاغرا

ووفق وثبتنا على الدين والرضا على ملة الإسلام فضلا مؤزرا

ومن كان مغضوبا عليهم فإنهم يهود ومن ضل الطريق تنصرا.

هذا نظم قاله العبد الفقير الى الله كاتب هذه الاسطر , فيه معاني الفاتحة على وجه الإجمال وأسميتها (المنظومة الكافية في معاني الشافية):

1 – بدأت باسم خالق الأنام ومعطي الفهم ذوي الأفهام

2 - مصليا على رسوله الكريم و من نعت بالخلق العظيم

3- ثم نتبع الصلاة بالسلام عليه و ال بيته الكرام

4- والصحب أهل الفضل والكرامة ومن سلك طريقهم إلى القيامة

5 – الحمد للذي خلا من ثاني منزل الكتاب مع سبع مثاني

6- كل الكتب بها محوية فأ معن النظر فهي جلية

7 - مما تضمنت براعة استهلال لأنه كلام الخالق المتعالي

8- والمعنى عند اهل الشان شمولها معاني القران

9- والشمول جاء بابلغ الكلام لأنه كلام ربنا العلام

10 - ويلزم القراءة استعاذة كائنة للقاريء كالليذة

11- وقولها ليس على الوجوب فمن تركها لا يصب ذنوب

12- والأشهر قولها قبل القراءه وقال بعض تقرا في النهاية

13- وقال آخرون بالوجهين جمعا بين الروايتين

14- وبعد الاستعاذة بسملة كوصل البينة بالزلزلة

15- والبا في البسملة للاستعانة بعكس ماخط الزمخشري بنانه

16- وللمصاحبة الزمخشري أراده ليستقل العبد فيها بالإ رادة

17- فقد أنكرها لأنه معتزلي وما ذكر هو القول الجلي

18--وهو الذي استحق الحمدا فمن حمده نال الرشدا

19--والله رحمن رحيم منعم بخلقه فهو كريم مكرم

20--فمن يسال عن الكمال نقل رحمن أكثر اشتمال

21--فالرحمن كل العالمينا و الرحيم خص المؤمينيا

22--فهو رب العالمين المالك والخارج عن الصراط هالك

23-وفي قراءة أخرى ملك فاستقم على الصراط تمتلك

24--قصورا فيها لؤلؤا منثورا يوم كتابك تجده منشورا

25--والجمع بين هاتين القراءتين و من يشأ يقل روايتين

26-- أن الله المالك الحقيقي فكل منا يأتي كالرقيق

27- وهذا كائن يوم القيامة فكل مؤمن يبشر بالكرامة

28-- أفادني بهذه الفوائد فصيدها كما الطرائد

29- الشيخ محمد فقيه العصر فعلمه انتشر بكل مصر

30--- وله تعالى كامل العبادة فمن يعبده يعطه زيادة

31--- ويلزم العبادة استعانة فمن يكرم فماله إهانة

32-- ثم تأمل قوله " إياك " لتفهم المعنى إذا أعطا ك

33-- شيئا من العلوم كالبلاغة لتفهم الكلام بالصياغة

34-- فعرفوا الصياغة بالتفات فمن عرفها حاز المكرمات

35-- والالتفات فيه فائدة كما ذكر في المائدة

36-- تنشيط سامع دفع ملل عن قارئ أو سامع فلا يكل

37-- والشيء الآخر كما ذكر تعظيم شي صد عنه فاحتقر

38-- فهذه من الفوائد أربعة فمن يجهلها يصغ مسمعه

39-- والنوع الوارد في الفاتحة تعظيم ربنا بدعوة صالحة

40--- وبعد ما نثني على الرحمن أصبحنا بالقرب من الديان

41— وما يلي الصراط المستقيما سر كلام ربنا الكريما

42-- وسموا هذا السر بالإطناب فمن عرفه من أولي الألباب

43- والإيجاز سر فيها جاري حذف قصر كلام الباري

44-- وللإطناب أكثر من غرض توضيح مبهم وربنا فرض

45-- فهم كتابه المنزل العظيم على رسول ربنا الكريم

46— فنسأله سبحانه الهداية على الصراط والوقاية

47--عن السبيل ذي العوج فمن يحد فالله نسال ا لفرج

48--فالذين حادوا أصبحوا حيارى وشابهوا اليهود و النصارى

49- وفي الختام قل آمينا ليستجيب رب العالمينا

50- وهذا أشهر المعاني مما ذكره أهل الشان

51—وقالوا معنى آخر غريبا ليس له من الحظ نصيبا

52- -فقالوا انه من جملة الأسماء تعالى الله عز في العلياء

53- وهذا قول بلا دليل على المعز الخالق الجليل

54-- فكل أسمائه تعالى معربة فليس للبناء فيها مرتبة

55- كقولنا في رازق يا رازق وقولنا في خالق يا خالق

56-- فقولنا يا رازق الإنسان ترى في الاسم حالا ثاني

57-- فخالق بالضم رفعوا و رازقا بالفتح نصبوا

58– وفي الختام الحمد للرحمن في كشف هذه المعاني

59– والشكر له على إحسانه و كل فضله عز وا متنانه

60- والصلاة والسلام في الختام على الرسول مع صحب كرام

هذا اخر هذي المنظومة وكنت اريد شرحها ولم يتيسر لي ذلك لانشغالي في تاليف كتب اخرى وارجو الله تعالى ان ييسر لي شرحها او ييسر احدا غيري يشرحها فيما بعد في حياتي او بعد مماتي وارجو ان لاينسونا من الدعاء لعل الله الكريم ان يغفر لنا خطاينا انه سميع قريب مجيب الدعاء .وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه ومن اتبع سنته الى يوم الدين والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

الخاتمة

هذا ما تيسر لي من كشف المعاني العظيمة التي اشتملت عليها هذه السورة العظيمة تكلمنا فيها على ما فتح الله به علي من تفسير لكل كلمة في هذه السورة وعلى بعض الأوجه اللغوية من إعراب وبلاغة وشواهد شعرية وتسلسل الكلام بأبلغ طريقة ووضع كل كلمة في مكانها المناسب وكذلك الأهداف التربوية في هذه السورة العظيمة نوجزها فيما يلي :

1- افتتاح أي عمل ببسم الله تعالى طلبا للبركة بذكر اسم الله تعالى .

2- الثناء على الخالق تعالى قبل الشروع في طلب الشيء لأنه ادعى لقبول الطلب .

3- العيش بين الخوف والرجاء فلا إفراط ولا تفريط .

4- الترغيب في سلوك طريق المؤمنين .

5- التحذير من سلوك طريق العاصيين .

6- التحذير من ترك العمل بالعلم .

7- التحذير من العبادة على جهل .

8- اخذ العبرة من قصص الأمم السابقة . وهناك دروس أخرى غير ماذكر .

وقد الف (ابن جماعة) – رحمه الله – كتابا عن فوائد الفاتحة فذكر ستا وسبعين فائدة .

وهذا غيض من فيض فلا يمكن لي ولا لغيري الكلام على كل معانيها بالكامل ولكني اجتهدت في ما يسر الله لي لعل الله تعالى ينفع به ويكتب لي الأجر بمنه وفضله تعالى وكنت كلما ظننت اني انتهيت من تفسيرها وجدت شيئا جديدا اضيفه فأدركت انها بحر لا ساحل له وادركت قول على – رضي الله عنه – الاتي . قال علي رضي الله عنه (لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب) .

قال الشيخ بن عثيمين – رحمه الله – في اول منظومته في اصول الفقه :

وبعد فالعلم بحور زاخرة لن يبلغ الكادح فيه اخره

أرجو الله تعالى أن ينفع به كاتبه وقارئه وندعو الله أن يرزقنا العلم النافع والعمل به ويجنبنا الخطأ والزلل.ومن أراد التوسع في تفسير هذه السورة الكريمة فليرجع إلى التفاسير المطولة المعتمد عليها مثل تفسير الطبري وهو إمام المفسرين أو تفسير القرطبي أو ابن كثير أو روح المعاني للالوسي وكذلك ابن القيم رحمه الله فقد توسع كثيرا في الكلام على الفاتحة وغاص في معانيها فاستخرج منها اللآليء والكنوز الثمينة التي قل أن تجدها في كتاب آخر وذلك في كتابه (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين) ومن أراد الأكثر اختصارا فهناك تفسير ابن سعدي رحمه الله المسمى (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) وهو من أفضل التفاسير لوضوح عبارته

وبعده عن الحشو وعدم ذكر الخلاف حتى لا يحصل تشويش على ذهن القارئ خاصة العوام منهم وعدم الإطالة حتى لا يحصل الملل وكذلك دقة الاستنباط فرحمهم الله جميعا ورحمنا معهم انه جواد

كريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين ومن سار على نهجه إلى يوم الدين

وكنت اريد ان اشير الى الاخطاء التي يقع فيها الناس في قراءة الفاتحة وهي كثيرة ولكن الوقت لم يسعفني ولعل الله تعالى يقدر لي ان اكتبه في الطبعة القادمة ان شاء الله تعالى . وممن جمع الاخطاء الشائعة في القران وضمنها الفاتحة فضيلة الشيخ الدكتور احمد بن موسى السهلي في كتاب اسماه (اخطاء شائعة عن تلاوة القران الكرين برواية حفص عن عاصم) فليراجعه من شاء .

نعم السحير كتاب الله ان له حلاوة هي احلى من جنى الضرب

به فنون المعاني قد جمعن فما يفتن من عجب الا الى عجب

امر ونهي وامثال وموعظة وحكمة اودعت فيب افصح الكتب

لطائف يجتليها كل ذي بصر وروضة يجتنيها كل ذي ادب(1)

وقال اخر :

يزيدك وجهه حسنا اذا مازدته نظرا (2)

وقال اخر :

وما من كاتب الا سيفنى ويبقي الدهر ماكتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيئ يسرك يوم القيامة ان تراه (3)

.....

(1) اورد الابيات ابو حيان في مقدمة تفسيره (البحر المحيط)

(2) البيت لابي نواس في قصيدة مطلعها : دع الرسم الذي دثرا..... يقاسي الريح والمطرا

(3) الابيات تنسب للشافعي – رحمه الله –

وقال اخر :

كتبت و أيقنت يوم كتابتي أن اليد تفنى و يبقى كتابها
فإن كتبت خيرا ستجزى بمثله وإن كتبت شراً عليها حسابها

تم الفراغ منه بحمد الله وفضله في 9 / 9 / 1434

للتواصل أو إبداء أي ملاحظة : فهد صالح شايع النفيسة

جوال : 0543469559 **بريد الكتروني** **saudii42@yahoo.com**

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

المصادر و المراجع

1- القران الكريم

2- تفسر القرطبي , طبعة دار الشعب

3- روح المعاني للالوسي , طبعة دار إحياء التراث العربي

4- نزهة الاعين النواظر , لابن الجوزي, طبعة مؤسسة الرسالة

5- مدارج السالكين ,لابن القيم , طبعة دار طيبة , تحقيق عبد العزيز ناصر الجليل

6- تفسر القران الكريم ,جزء عم , للشيخ محمد بن صالح العثيمين ,طبعة دار الثريا للنشر

7- تفسير ابن كثير, طبعة دار القران الكريم

8- التبيان في هداية القران , لسيد محمد ساداتي الشنقيطي طبعة دار الحضارة للنشر والتوزيع

9- حول تفسير الفاتحة ام القران , لعبد الله سراج الريس طبعة مكتبة دار الفلاح

10- شرح القواعد الحسان في تفسير القران, للشيخ ابن سعدي شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين طبعة دار ابن الجوزي.

11 - تفسير سورة الفاتحة, لعبد العظيم بن بدوي الخلفي , طبعة دار ابن رجب

12- موقع سورة الفاتحة على الشبكة العنكبوتية **www.alfatehah.com**

13 -تأملات في سورة الفاتحة, للدكتور حسن باجودة ,طبعة الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي

14- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن سعدي طبعة مؤسسة الرسالة

15- شرح مقدمة التفسير, لشيخ الإسلام ابن تيمية ,طبعة دار ابن حزم ,شرح أصحاب الفضيلة الشيخ ابن عثيمين وابن جبرين وصالح آل الشيخ والألباني

16- سورة الفاتحة , دراسة موضوعية إعداد الطالب يسام رضوان شحادة عليان

17 - القصص القرآني , دروس وعبر, لشعبان احمد علي البصيلي طبعة دار طويق

18- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ,لابن القيم رحمه الله, طبعة دار ابن الهيثم

19 – التبيان في آداب حملة القران للنووي طبعة مؤسسة اقرأ

20 - مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي طبعة مؤسسة أم القرى

21 - إحياء علوم الدين للغزالي طبعة دار الكتاب العربي

22 – أسرار ترتيب سور القران للسيوطي طبعة المكتبة العصرية

23- تهذيب الأسماء واللغات للنووي طبعة دار الكتب العلمية

24 – تفسير الفاتحة لابن رجب طبعة دار المحدث تحقيق الشيخ سامي بن محمد جاد الله

25 – خواطر قرآنية لعمرو خالد طبعة الدار العربية للعلوم

26 – بدائع التفسير لابن القيم طبعة دار ابن الجوزي

27 – دروس من القران الكريم للشيخ الدكتور صالح الفوزان طبعة دار العاصمة

28 - فتح الرحمن في تفسير سورتي الفاتحة ولقمان للدكتور علي حسن العريض طبعة دار الإصلاح

29 – اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب للدكتور سليمان اللاحم طبعة دار المسلم

30 – فاتحة الكتاب و جزء عم الخاتم للقران تفسير وبيان للشيخ محمد الصواف طبعة شركة دار العلم

31 – أوضح البرهان في تفسير أم القران لمحمد الخنجدي طبعة أضواء السلف

32– شرح النووي لصحيح مسلم طبعة دار البيان العربي , اعتنى به أبو الفضل الدمياطي

33– فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر طبعة دار الحديث

34- مفاتح تدبر القران والنجاح في الحياة للدكتور خالد اللاحم طبعة مطبعة سفير

35- تفسير الفاتحة المسمى تفسير العلوم والمعاني المستودعة في السبع المثاني للاقليشي طبعة دار الكتب العلمية

36– الأركان الأربعة لأبي الحسن الندوي طبعة دار القلم بدمشق

37– الهداية لسعيد بن مسفر القحطاني طبعة مدار الوطن

38- تفسير الشوكاني طبعة دار االكتب

39- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي طبعة دار الكتب العلمية دراسة وتحقيق الشيخ عادل احمد عبدا لموجود والشيخ علي محمد معوض

40- تفسير المراغي طبعة دار إحياء التراث العربي

41- دروس وفتاوى في الحرم المكي لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله طبعة دار ابن الجوزي

42- ألفية التفسير لحسين علي دحلي طبعة دار طيبة للنشر

43– مفاتيح الغيب للرازي طبعة دار الكتب العلمية

44- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي طبعة المكتب الإسلامي

45– تفسير البغوي طبعة دار طيبة

46– تعليم تدبر القران للدكتور هاشم بن علي الاهدل طبعة مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي

47- أضواء على الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة للدكتور صالح بن محمد آل أبو بكر الزهراني . مجلة البحوث والدراسات القرآنية

48 - جواهر التفسير لابن تيميه طبعة المكتبة العصرية – صيدا- بيروت

49– بدائع الفوائد لابن القيم طبعة دار الكتاب العربيo

50– حاشية القونوي على تفسير البيضاوي طبعة دار الكتب العلمية

51- أصول في التفسير للشيخ محمد بن صالح العثيمين طبعة دار ابن الجوزي

52 – تيسر اللطيف المنان في خلاصة تفسير القران للشيخ عبد الرحمن السعدي طبعة المكتبة العصرية صيدا – بيروت

53– الفوائد لابن القيم طبعة المكتبة العصرية صيدا – بيروت

54 – شرح حديث جابر في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ بن عثيمين طبعة دار المحدث

55 – اليوم الآخر , حكم ومشاهد للشيخ محمد الد د و الشنقيطي طبعة دار ابن حزم

56 – خلاصة الكلام في أركان الإسلام للدكتور عبد الله بن محمد الطيار طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والرشاد

57 – قواعد وفوائد الفقه كتاب الله تعالى لعبد الله بن محمد الجوعي طبعة دار طويق

58 - التيسير في القراءات السبعة لأبي عمرو الداني طبعة دار الصحابة

59 – إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المحتار للشيخ محمد بن صالح العثيمين طبعة دار المنهاج

60 – صحيح البخاري طبعة مكتبة الرشد

61 – صحيح مسلم طبعة مكتبة الرشد

62 – لسان العرب لابن منظور طبعة دار صادر / بيروت

63 – زاد المعاد لابن القيم , حقق نصوصه وخرج احاديثه وعلق عليه , شعيب الارنؤوط وعبد القادر الارنؤوط

64 – مذكرة في أصول الفقه لمحمد الأمين الشنقيطي طبعة مكتبة العلوم والحكم ودار العلوم والحكم .

65 - نيل الأوطار للشوكاني طبعة دار الحديث تحقيق وتعليق عصا م الدين الصبا بطي

66 – رسالة القواعد الفقهية لفهم النصوص الشرعية لابن سعدي طبعة دار الفرقان

67 – مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للشيح ابن سعدي طبعة دار الحسن والحسين

68 – شرح المنظومة البيقونية للشيخ ابن عثيمين طبعة دار الثريا

69 – أمثال في القران لابن القيم طبعة تحقيق د. ناصر بن سعد الرشي , طبعة دار مكة للطباعة والنشر

70 – الإيمان , حقيقته وزيادته وثمرته لعبد الله بن محمد الغنيمان طبعة دار التدمرية

71 – شرح أصول الإيمان للشيخ ابن عثيمين

72 – منظومة التفسير للزمزمي طبعة مكتبة الرشد

73 – سلم الوصول إلى علم الأصول للشيخ حافظ بن احمد الحكمي طبعة دار ابن حزم

74 – ألفية ابن مالك في النحو والصرف طبعة دار السلام

75 – مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ,جمع وترتيب فهد السليمان , طبعة دار الثريا للنشر

76 – مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين في العقيدة , جمع وترتيب فهد السليمان , طبعة دار الثريا للنشر

77 – معاني القران , للأخفش الأوسط , دراسة وتحقيق د. عبد الأمير محمد أمين الورد , طبعة عالم الكتب

78 – حاشية القونوي على تفسير البيضاوي , طبعة دار الكتب العلمية

79 – اللباب في علوم الكتاب , لابن عادل الحنبلي , طبعة دار الكتب العلمية تحقيق وتعليق الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ على محمد معوض .

80 – مجموع فتاوى ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وساعده ابنه محمد طبعة دار عالم الكتب

81 - ساحرة الطرف في الاستعاذة والبسملة والاسم والحرف , للرازي تقديم وتحقيق أ.د محمد محمد فهمي عمر . طبعة دار الزمان

82 – الكشاف للزمخشري طبعة دار الكتاب العربي

83 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية , طبعة دار الكتب العلمية

84 – المفردات في غر يب القران, للراغب الاصفهاني , طبعة دار المعرفة , بيروت

85 - المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ,لأبي الفتح عثمان بن جني , طبعة وزارة الأوقاف المصرية

86 – منة الحليم المنان في اقتران ألفاظ القران , للشيخ د. احمد بن علي العجمي والشيخ محمد أنور خليل , طبعة دار الصحابة للتراث

87 – الوسيط في تفسير القران المجيد , للواحدي , طبعة دار الكتب العلمية

88 – تفسير الطبري ,خرج أحاديثه وعلق عليها إسلام منصور عبد الحميد ,خرج شواهده الشعرية احد عاشور إبراهيم واحمد رمضان محمد

89 – تفسير ابن تيمية , طبعة دار ابن الجوزي

90 – تفسير سورة يس للشيخ ابن عثيمين , طبعة دار الثريا

92 – فتاوى إسلامية , طبعة دار الوطن ,جمع وترتيب محمد بن عبد العزيز المسند

91 – الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم , حققه وعلق عليه وخرج احاديثه علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد , طبعة دار ابن الجوزي

92 – مجموع فتاوى ومقالات متنوعة , جمع وترتيب واشراق د . محمد بن سعد الشويعر , طبعة دار القاسم

93 – فتاوى أركان الاسلام , لابن عثيمين , جمع وترتيب فهد السليمان , طبعة دار الثريا للنشر

94 – تهذيب معاني القران واعرابه , للزجاج , طبعة المكتبة العصرية

95 – منظومة أصول الفقه وقواعده , للشيخ ابن عثيمين , طبعة جار ابن الجوزي

96 – معجم مقاييس اللغة , لابن فارس , طبعة دار احياء التراث العربي

97 – قتلى القران , للثعلبي , طبعة العبيكان

98 – أسرار الحكمة للغزالي , طبعة التكوين

99 – التحرير والتنوير , لابن عاشور , طبعة دار سحنون , تونس

100 – ادب الدين والدنيا , للماوردي , طبعة دار المنهاج

101 – اعراب ثلاثين سورة من القران , لابن خالويه , طبعة دار ومكتبة الهلال .

102- معارج القبول , طبعة دار الحديث , للحافظ الشيخ احمد الحكمي

103 – املاء مامن به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القران , للعكبري , طبعة دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان

104 – مجلة الدراسات القرانية الصادرة عن الجمعية العلمية السعودية للقران اللكريم وعلومه , العدد الثامن والتاسع والثاني عشر .

105 – صحيح الترغيب والترهيب , للحافظ المنذري , اختيار وتحقيق محمد ناصر الدين الالباني , طبعة المكتب الاسلامي .

106 – نظم قواعد الاعراب , لابن ظهيرة , طبعة دار ابن الجوزي

107 – تحفة الاحوذي شرح سنن الترمذي , للمباركفوري , طبعة دار الحديث

108 – عون العبود شرح سنن ابي داوود , للعظيم ابادي , طبعة دار الحديث

109 - سؤال وجواب في اهم المهمات , لابن سعدي , طبعة دار العاصمة , الرياض

110 – الحور بعد الكور , لمحمد بن عبد الله الدويش , طبعة دار الوطن

111 – بهجة قلوب الابرار وقرة عيون الاخيار شرح جوامع الاخبار, لابن سعدي . طبعة دار الشريعة .

112 – القول المفيد على كتاب التوحيد , لابن عثيمين , طبعة دار ابن الجوزي

113 – شرح العقيدة الطحاوية , لابن ابي العز الحنفي , طبعة المكتب الاسلامي

114 – البرهان في علوم القران , للزركشي , طبعة دار الجيل , بيروت

115 – منار الهدى في الوقف والابتدا , للاشموني , طبعة دار الحديث , القاهرة

116 - النهي الصريح عن اتباع الاهواء واهلها في القران الكريم , للدكتور عبد الله بن عبد الرحمن الشثري , لم اجد دارا طابعة

117 – مذكرة اصول الفقه على روضة الناظر , لمحمد الامين الشنقيطي, طبعة دار عالم الفوائد

118 – الفروع , لابن مفلح , طبعة المكتبة العصرية , صيدا , بيروت

119 - نظم الدرر السنية في السيرة الزكية , للحافظ زين الدين العراقي , طبعة دار اللؤلؤ

120– قواعد ابن رجب, للحافظ عبد الرحمن بن رجب , طبعة المكتبة التوفيقية

121 – الشرح الممتع علىزاد المستقنع , للشيخ ابن عثيمين , طبعة دار ابن الجوزي

122 – الاضداد , لابن الانباري . طبعة دار الحديث , القاهرة

123 – شرح الكوكب المنير , لابن النجار , طبعة دار الفكر , دمشق

124 – الاكليل في استنباط التنزيل , للسيوطي , طبعة مكتبة فياض , المنصورة

125 – المدهش , لابن الجوزي , طبعة دار الحديث , القاهرة

126 – المستدرك على الصحيحن , للحاكم النيسابوري , طبعة دار الكتاب العربي , بيروت , لبنان

127- وقفات تربوية في ضوء القران الكريم , لعبد العزيز بن ناصر الجليل , طبعة دار طيبة

128 – اليواقيت الثمينة فيما انتمى لعالم المدينة في القواعد والنظائر والفوائد الفقهية , للانصاري , طبعة مكتبة الرشد

129 – تلبيس ابليس , لابن الجوزي , طبعة دار الكتب العلمية , بيروت لبنان

130 – مجموع رسسائل الحافظ العلائي , طبعة دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

131 – تفسير معالم التنزيل , للبغوي , طبعة دار طيبة

132 – صفة الصفوة ,لابن الجوزي, طبعة دار الحديث القاهرة

133– شواهد التوضيح والتصحيح لحل مشكلات الجامع الصحيح , لابن مالك , طبعة عالم الكتب

134 – شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك , لمحمد محي الدين عبد الحميد , طبعة دار الطلائع

135 – الكتاب , لسيبويه , طبعة الشركة الدولية للطباعة

136 – شرح التسهيل , لابن مالك , طبعة دار الكتب العلمية

137 – التعليق على صحيح مسلم , لابن عثيمين , طبعة مكتبة الرشد

138 – الفصل في الملل والاهواء والنحل , لابن حزم الاندلسي , طبعة دار الحديث , القاهرة

139 – المحجة في سير الدلجة , لابن رجب , طبعة دار ابن الجوزي

140 – الجامع في تفسير سورة الفاتحة , لمجموعة من العلماء , طبعة دار التوحيد للنشر

141 – مجموع رسائل الحافظ ابن رجب , طبعة الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

142 – الارجوزة المنبهة على اسماء القراء والرواة واصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات , للامام الحافظ ابي عمر الداني

143 – شرح مصابيح السنة , للكرماني , طبعة دار النوادر

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	2
فضل سورة الفاتحة وما تميزت به	13
أسماء سورة الفاتحة	19
الكلام على الاستعاذة	20
الكلام على البسملة	28
تفسير " الحمد لله رب العالمين "	34
تفسير " الرحمن الرحيم "	42
تفسير " مالك يوم الدين "	47
تفسير " إياك نعبد وإياك نستعين "	49
تفسير " اهدنا الصراط المستقيم "	54
تفسير " صراط الذين أنعمت عليهم "	67
تفسير " غير المغضوب عليهم ولا الضالين "	69
الكلام على " آمين "	72
بيان ما اشتملت عليه الفاتحة من المعاني العظيمة .	77
المنظومة الكافية في معاني الشافية للمؤلف ..	111
الخاتمة	115
المصادر و المراجع	118
الفهرس	126